

لسنة

# التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2008



تحرير

د. محسن محمد صالح



## الفصل الرابع

# القضية الفلسطينية والعالم الإسلامي

بريد إلكتروني: [info@alzaytouna.net](mailto:info@alzaytouna.net) الموقع: [www.alzaytouna.net](http://www.alzaytouna.net)

يمكنكم التواصل معنا والاطلاع على صفحات المركز عبر الضغط على التطبيقات أدناه:



## القضية الفلسطينية والعالم الإسلامي

**مقدمة**  
حافظ موقف دول العالم الإسلامي خلال سنة 2008 بشكل عام على الوتيرة نفسها فيما يتعلق بدعم القضية الفلسطينية. ولكن على الرغم من ارتفاع وتيرة الدعم المعنوي للفلسطينيين، على المستويين الرسمي والشعبي، وخصوصاً مع بدء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في الأيام الأخيرة من السنة، إلا أن تلك الدول فشلت مجدداً في امتلاك أدوات التأثير فيما يتعلق بوقف العدوان على القطاع، أو كسر الحصار الإسرائيلي المفروض عليه، أو حتى في إنهاء الانقسام الداخلي الفلسطيني.

ويبحث هذا الفصل بشيء من التفصيل مواقف منظمة المؤتمر الإسلامي Organization of the Islamic Conference (OIC) وتركيا وإيران من القضية الفلسطينية خلال هذه السنة، كما يستعرض مواقف باكستان، وإندونيسيا، وماليزيا.

كما في السنوات السابقة، حافظت منظمة المؤتمر الإسلامي طوال سنة 2008 على خطابها نفسه، فيما يتعلق بقضايا الشعب الفلسطيني. فقد شهدت سنة 2008 المزيد من التدهور في الأوضاع الإنسانية الخطيرة في غزة، وفي أواخر السنة نفسها، شنت "إسرائيل" حرباً شاملة على المدنيين في القطاع، مسببة عواقب كارثية غير مسبوقة. وكعادتها، أعلنت منظمة المؤتمر الإسلامي "دعمها الكامل" لأهل غزة، وكما في السنوات السابقة أيضاً، أثارت منظمة المؤتمر الإسلامي مسألة استمرار بناء المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، والاستفزازات الإسرائيلية للسكان الفلسطينيين في محيط المسجد الأقصى، وأعمال الحفريات التي تقوم بها "إسرائيل" في محيط المسجد الأقصى، معرضة المكان المقدس لخطر السقوط. كما كررت المنظمة حديثها عن ضرورة سوق "إسرائيل" إلى محكمة العدل الدولية لمحاسبتها على جرائمها ضد الشعب الفلسطيني، كما أنها اتهمت الصحافة الغربية بالكيل بمكيالين عند تناول موضوع الأزمة الفلسطينية.

### أولاً: منظمة المؤتمر الإسلامي

استهلت منظمة المؤتمر الإسلامي سنة 2008 بمؤتمر صحفي لأمين عام المنظمة، أكمل الدين إحسان أوغلو Ekmeleddin Ihsanoglu، في 2008/1/8، أدان فيه ما أسماه "الاعتداءات الإسرائيلية غير الإنسانية على المدنيين في غزة". وفي 24 كانون الثاني / يناير طالبت مجموعة الدول الأعضاء في جنيف مجلس حقوق الإنسان، بمعاينة الأوضاع الإنسانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وقد

لفت أمين عام المنظمة النظر في أحد تصريحاته إلى مشكلة المعابر الحدودية في غزة، والتي سببت معاناة كبيرة لسكان القطاع، وناشد أوغلو الأمم المتحدة التدخل لوقف الاعتداءات الإسرائيلية، ورفع الحصار الظالم الذي تفرضه على غزة. وفي 2008/2/3 عُقد في جدة اجتماع طارئ للجنة التنفيذية لمنظمة المؤتمر الإسلامي على مستوى وزراء الخارجية؛ لمناقشة آخر المستجدات في الشأن الفلسطيني، وخصوصاً موضوع الحصار المفروض على قطاع غزة. وطوال سنة 2008، ظلت منظمة المؤتمر الإسلامي تذكر المجتمع الدولي بمسؤوليته تجاه أهل غزة، وقد دعا أمينها العام "الرباعية" ومجلس الأمن وأمين عام الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي إلى التحرك الفوري لوقف الاعتداءات الإسرائيلية، واتخاذ الإجراءات المناسبة والضرورية لتوفير الحماية للشعب الفلسطيني"<sup>1</sup>.

وفي تصريح سابق له في 20 كانون الثاني / يناير، امتدح أوغلو جهود المملكة العربية السعودية في ردم الهوة بين مختلف الفصائل الفلسطينية، وخصوصاً حماس والسلطة الفلسطينية. وفي ردّ على سؤال وجه له، قال أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي بأن الجهود المتواصلة ستستمر من أجل حلّ الصراع بين الطرفين على أساس اتفاق مكة، الذي رعته حكومة المملكة العربية السعودية. كما نوه أوغلو بجهود الرئيس المصري في هذا الإطار، إلا أنه لا يبدو أن منظمة المؤتمر الإسلامي ناقشت في العلن مسألة فشل اتفاق مكة بين حماس والسلطة الفلسطينية، ولماذا لم يعترف به المجتمع الدولي ويجعله منطلقاً لإشراك حماس في العملية السياسية. بكلمات أخرى، لم تجرِ منظمة المؤتمر الإسلامي عملية مساءلة داخلية حول أسباب استمرار فشلها في تحقيق أي تقدم فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية. ومع ذلك استمرت المنظمة في إدانتها الكلامية لمختلف الانتهاكات الإسرائيلية؛ ففي التصريح المذكور نفسه، أدان أوغلو إجراءات العقاب الجماعي التي اتخذتها "إسرائيل" ضدّ الشعب الفلسطيني. وفي تصريح آخر اتهم أوغلو "إسرائيل" باختلاق العراقيل في وجه السلام في فلسطين، وذلك من خلال بناء المستعمرات في الأراضي المحتلة، وتقسيم الأراضي الفلسطينية إلى جزر صغيرة، وبالتالي، الاستيلاء على المزيد والمزيد من الأراضي، وتدمير الوحدة الجغرافية لفلسطين التاريخية. كما أشار أوغلو إلى أهمية توثيق كل هذه الأنشطة الإجرامية الإسرائيلية، وتقديم تقارير بخصوصها إلى المؤسسات والمنظمات الدولية المختصة. وقد خص بالذكر الخطط الإسرائيلية لبناء 121 وحدة سكنية استيطانية في جبل أبو غنيم، و763 وحدة أخرى في منطقة بسجات زئيف Pisgat Ze'ev في شرقي القدس. ودعا أيضاً الجهات الدولية، مثل منظمة اليونسكو، إلى تحمل مسؤولياتها في الحفاظ على المواقع التاريخية في المنطقة.

وحذر أوغلو من المخاطر التي يتعرض لها المسجد الأقصى جرّاء الحفريات التي تجريها "إسرائيل" تحت أساساته والتي أدّت في 2008/2/15 إلى انهيار بالقرب من سبيل قايتباي في



ساحات الحرم القدسي<sup>2</sup>. كما لفت الانتباه إلى ”المحاولات الإسرائيلية لبناء كنيس على أراضي وقف إسلامية“<sup>3</sup>، مُديناً في الوقت نفسه قيام السلطات الإسرائيلية باقتحام مؤسسة الأقصى وإقفالها في 2008/8/24، حيث صادرت كل ممتلكاتها ومحتوياتها، بما في ذلك الوثائق والخرائط والأموال التي كانت موجودة. وفي تصريح آخر، أدانت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) (Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization (ISESCO)، وهي منظمة تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، قيام السلطات الإسرائيلية بهدم المسجد العمري التاريخي في قرية أم طوبا (وهي قرية صغيرة تقع في جنوب شرق مدينة القدس) والذي بني قبل 700 عام. كما دعت المنظمة اليونسكو إلى الضغط على ”إسرائيل“ من أجل أن تتراجع عن قرارها، وذلك وفقاً لمعاهدة جنيف Geneva Convention، وبناء على قرار لجنة اليونسكو للتراث العالمي. وفي تصريح آخر، أدان أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي بشدة قرار السلطات الإسرائيلية إزالة مقبرة مأمّن الله في القدس، المبنية على أرض وقف إسلامي.

وطوال العام وازلت منظمة المؤتمر الإسلامي على التعبير عن قلقها تجاه الأوضاع الإنسانية الكارثية في قطاع غزة، وقامت بإرسال المساعدات إلى القطاع عن طريق ممثل المفوض العام للأونروا. كما قامت بتنظيم قوافل شاحنات حملت مواد أساسية لأهل غزة، مثل الغذاء والدواء، ثلاث مرات على الأقل خلال السنة، بالتعاون مع بنك التنمية الإسلامي، وصندوق التضامن الإسلامي، وجمعيات الهلال الأحمر، وعدد من الدول الأعضاء في المنظمة. ولكن يبدو أن المنظمة لم تطرح التساؤل حول ما إذا كانت هذه المساعدات كافية لما يقارب 1.5 مليون نسمة في غزة.

وفي اجتماع لمسؤولي المنظمة في 2008/4/22، أطلع ممثل الأونروا مسؤولي منظمة المؤتمر الإسلامي على مشروع إطلاق حملة إعادة بناء مخيم نهر البارد في لبنان. وقد أشارت المجلة التي تصدر عن المنظمة إلى أن الحكومة اللبنانية، والبنك الدولي، والأونروا قد نظمت ”مؤتمر الدول المانحة لإعادة بناء مخيم اللاجئين الفلسطينيين في نهر البارد“ في فيينا، في 2008/6/23<sup>4</sup>.

وفي مقابلة مع جريدة النهار اللبنانية في آذار/ مارس 2008، اتهم أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي الإعلام الغربي بالتحيز ضدّ الشعب الفلسطيني. وضرب مثلاً على ذلك، العملية التي نفذت ضدّ المدرسة التلمودية في القدس، حيث قال إن الإسلام يرفض استهداف المدنيين والأطفال، ومع ذلك فإن الإعلام الغربي لا يذكر عادة أعمال القتل المتعمد غير الإنساني التي تنفذها الآلة العسكرية الإسرائيلية ضدّ المدنيين من النساء والشيوخ والأطفال، كما بغض الإعلام الغربي الطرف عن الاستفزازات التي تقوم بها ”إسرائيل“ ضدّ شعب فلسطين. وطالب بتحميل ”إسرائيل“ المسؤولية، ومحاكمتها على الجرائم التي ارتكبتها بحق الفلسطينيين.

وبالإضافة إلى ذلك، ذكرت النشرة الأسبوعية لمنظمة المؤتمر الإسلامي في عددها الصادر بتاريخ 2008/4/14 أن المملكة العربية السعودية تبرعت بقطعة أرض في جدة تبلغ مساحتها 40 ألف متر مربع لمنظمة المؤتمر الإسلامي لبناء مقرها فوقها، وذلك في القمة العاجلة الثالثة التي عقدت في مكة. وتجدر الإشارة إلى أنه حين اتخذ القرار ببناء مقر لمنظمة المؤتمر الإسلامي سنة 1969، كان المقترح أن تكون القدس مقر المكتب الرئيسي للمنظمة، ولكن بما أن القدس كانت تحت الاحتلال، اختيرت جدة لتكون المقر المؤقت لرئاسة المنظمة.

وفي 2008/5/14، الذكرى الستين لنكبة فلسطين، أصدر أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي بياناً عبر فيه عن دعم المنظمة الكامل للشعب الفلسطيني، مذكراً للمسلمين وبقية العالم، بأن "دولة إسرائيل" أعلنت "استقلالها" من خلال طرد مئات الآلاف من الفلسطينيين من أرضهم وأرض أجدادهم. وذكر أوغلو بحق اللاجئين بالعودة إلى ديارهم وبناء دولة فلسطينية ذات سيادة عاصمتها القدس. كما ذكرت منظمة المؤتمر الإسلامي المجتمع الدولي بواجباته تجاه هذه القضية بناء على القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة.

وفي 2008/8/21، الذي وافق الذكرى الـ 39 لإحراق المسجد الأقصى، وهو الحدث الذي قاد إلى إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي، أصدر أوغلو بياناً آخر أدان فيه تجاهل "إسرائيل" للقانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة حول فلسطين، مركزاً على انتهاك "إسرائيل" المستمر لحقوق الشعب الفلسطيني، من خلال الحفريات التي تجريها في المناطق القريبة من الحرم القدسي الشريف، ومن خلال بناء جدار الفصل العنصري، وإقامة الحواجز ونقاط التفتيش التي تفصل المجتمعات عن بعضها، وأيضاً من خلال فرض قيود على دخول المصلين إلى القدس والمسجد الأقصى.

وفي يومي 2008/3/14-13، عقدت منظمة المؤتمر الإسلامية مؤتمر قمته الحادي عشر في دكار، عاصمة السنغال. وكما في القمم السابقة ومؤتمرات وزراء الخارجية، تبنت المنظمة قرارات تدعم دورها التقليدي في دعم الشعب الفلسطيني، وقد ركز أحد القرارات على استمرار تدهور الأوضاع الإنسانية في قطاع غزة، ودعا إلى حل دائم للمشكلة، وذلك من خلال تسليط الضوء على المبادرة العربية التي طرحتها القمة العربية في بيروت سنة 2002، والحاجة إلى إنشاء دولة فلسطينية ذات حدود آمنة، على حدود ما قبل سنة 1967. وهذه المبادرة أعيد طرحها مرة أخرى في القمة العربية التي عقدت في الرياض في آذار/ مارس 2007، كما ورد في قرار المنظمة؛ حيث دعت القمة إلى تطبيق قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بهذه القضية. وفي نهاية المؤتمر، عبر البيان الختامي لقمة منظمة المؤتمر الإسلامي عن الشكر العميق لملك المغرب، محمد السادس، "لدعمه للقضية الفلسطينية"، بصفته رئيساً للجنة القدس. كما امتدح البيان ملك الأردن، عبد الله الثاني، لـ "نقله قضية القدس إلى المحافل الدولية"، وعبر البيان الختامي أيضاً عن دعمه لدعوة الرئيس المصري



حسني مبارك، ”الفصائل الفلسطينية، لوضع حدّ لخلافاتها بشكل حاسم“. وصنف البيان الختامي المجموعة الفلسطينية – اللبنانية المعروفة بفتح الإسلام تنظيمًا إرهابيًا، وعبر عن ”دعمه لجهود الحكومة اللبنانية في إطار إعادة بناء مخيم نهر البارد، من أجل تأمين عودة سكانه إليه“<sup>5</sup>. ومن 18-20/6/2008، عقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي في كامبالا، عاصمة أوغندا، حيث كررت التوصيات نفسها فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية.

ومع نهاية سنة 2008، عندما شنت ”إسرائيل“ عدوانها على غزة، نشطت منظمة المؤتمر الإسلامي مرة أخرى في التعبير عن دعمها للشعب الفلسطيني بشكل عام، ولأهل غزة بشكل خاص. وفي 31/12/2008، عقد اجتماع على مستوى السفراء في غزة، من أجل التحضير لاجتماع طارئ للجنة التنفيذية الموسعة للمنظمة، الذي كان من المقرر عقده في 3/1/2009. ولكن، وبشكل عام، على الرغم من تعبير المنظمة عن دعمها للقضية الفلسطينية، لا يسجل لها أي إنجاز يذكر للشعب الفلسطيني خلال سنة 2008. وبالفعل، فقد ظلت أحوال الفلسطينيين في تدهور حاد في سنة 2008 مقارنة بالسنة التي سبقتها. ومع ذلك، فإن قرارات منظمة المؤتمر الإسلامي ظلت تعبر عن شكرها العميق لرؤساء الدول الأعضاء فيها، على ما قدموه من ”خدمات“ للفلسطينيين. وعلى الرغم من وجود إجماع شعبي إسلامي على ضرورة فتح معبر رفح من قبل الحكومة المصرية للإسهام العملي في فكّ الحصار، إلا أن المنظمة فشلت حتى في مجرد طرح قضية المعبر خلال اجتماع وزراء خارجية الدول الأعضاء، الذي عقد خلال السنة. ووفقاً لرأي العديد من الخبراء، فإن معاناة الشعب الفلسطيني لم تكن نتيجة الحصار الإسرائيلي وحده، بل أسهم إغلاق معبر رفح في تضيق الخناق عليهم أيضاً، مما أثار غضب وحنق الكثير من المسلمين في مختلف أنحاء العالم؛ وقد كان هذا السلوك أحد المؤشرات على أن منظمة المؤتمر الإسلامي هي منظمة رسمية، تراعي حساسيات الأنظمة أكثر مما تراعي مشاعر الشعوب التي تمثلها. وأنها انعكاس لحالة الضعف والترهل التي تعاني منها الأنظمة في العالم الإسلامي.

خلافاً لسنتي 2006 و2007 بدت العلاقات التركية – الفلسطينية والعلاقات

**ثانياً: تركيا** – التركية – الإسرائيلية في سنة 2008 مختلفة إلى حدّ ما. وإذا كان منحي

المسار الفلسطيني شهد بعض التراجع إلا أنه كما بدا فقد انتهت سنة 2008

وهي تعكس حرارة التعاطي التركي على هذا المسار. أما المسار الإسرائيلي وإن بدا أكثر حرارة من السابق إلا أنه انتهى في بداية سنة 2009 بانكسار كبير، سببه الأساسي العدوان الإسرائيلي على غزة في نهاية سنة 2008.

## 1. المسار الفلسطيني:

بدأ الربع الأول من سنة 2008 بعدوان "إسرائيل" الوحشي على قطاع غزة بعد محاصرته فترة طويلة، ومن ثم القيام بغارات جوية وهجمات برية عنيفة أدت إلى سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى.

وكان موقف الحكومة التركية قوياً، وشكل استمراراً لمواقفها السابقة الداعمة للشعب الفلسطيني. وقد وصف رئيس الحكومة رجب طيب أردوغان Recep Tayyip Erdogan الوضع في غزة بأنه "مأساة إنسانية"، وقال: "إننا أمام مأساة إنسانية في غزة، وأرى صعوبة في فهم ما يجري، ولا يمكن قبول أية ممارسة تأتي كعاقبة للمليون نسمة بذريعة هجمات الصواريخ. يجب أن يفهم أصدقاؤنا الإسرائيليون أنه بهذا الحصار وبمعاقبة كل الشعب، إنما يخدمون الفئات الهامشية المتشددة"<sup>6</sup>.

وأثار موقف أردوغان انتقاداً إسرائيلياً شديداً. إذ استدعى رئيس دائرة تركيا في وزارة الخارجية الإسرائيلية السفير التركي في "إسرائيل" نامق طان Namik Tan، وأبلغه أنه في الوقت الذي تعمل فيه "إسرائيل" لمنع إقرار قانون الإبادة الأرمنية في الولايات المتحدة، تأتي تصريحات أردوغان لتمثل أمراً سيئاً كبيراً، ولتوجد إحباطاً كبيراً، وقال "لقد كنا ننتظر من تركيا التي تحارب الإرهاب أن تدعم إسرائيل ضد الإرهاب"<sup>7</sup>.

كذلك أصدرت الخارجية التركية بياناً قالت فيه إنها تشعر بقلق كبير من الحصار المطبق على غزة، وترى أنه لا يخدم سوى العناصر المتطرفة، داعية إلى إنهائه فوراً. فيما قالت جريدة هآرتس إن العلاقات بين "إسرائيل" وتركيا توترت كثيراً "في اليومين الأخيرين"<sup>8</sup>.

وفي أثناء انعقاد ملتقى دافوس (Davos Forum (World Economic Forum) التقى وزير الخارجية التركي علي باباجان Ali Babacan الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز في 2008/1/26، وقال له إن استمرار حصار غزة وتقسيم فلسطين إلى قسمين، أي غزة والضفة الغربية، يهدد عملية السلام وفقاً لمسار أنابوليس.

واحتجاجاً على الحصار نظمت جمعية التضامن مع المظلومين وحقوق الإنسان (مظلوم در) The Association of Human Rights and Solidarity for Oppressed (MAZLUMDER) تظاهرة في 2008/1/23 أمام السفارة الإسرائيلية في أنقرة، أطلقت فيها عنان أصوات الصفارات وسيلة للاحتجاج، وألقيت حُطَب وصفت "إسرائيل" بـ"المنظمة الإرهابية الأكبر في العالم". كما انتقدت الكلمات الحكومية المصرية "التي تحاصر القطاع مثل إسرائيل"، ودعت الكلمات إلى اعتبار سنة 2008 سنة مساعدة الشعب الفلسطيني.

وبالرغم من أن وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك قد وضع لزيارته أنقرة في 11 شباط / فبراير عنوان تطوير العلاقات العسكرية، إلا أن ردّة فعل الحكومة والرأي العام في تركيا الشديدة ضدّ حصار غزة كانت عاملاً أساسياً في تعجيل الزيارة، من أجل تطويق مضاعفات التوتر الذي حصل.

ومع تجديد الحصار على غزة اتصل أردوغان في 2008/3/2 برئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، وطلب استئناف الحوار "من أجل السلام اليوم قبل الغد". وفي اليوم التالي اتصل أردوغان بأولمرت واحتج على الحصار الإسرائيلي للقطاع قائلاً: إن هذا أمر غير مقبول. ودعا بدوره إلى استئناف عملية السلام.

وفي 2008/3/4 التقت منظمات نقابية وإنسانية أمام سفارة "إسرائيل" في أنقرة؛ للتعبير عن احتجاجها على العمليات الإسرائيلية في غزة. ورأى رئيس نقابة الموظفين أحمد أقصو أن ما يجري في غزة هو إبادة وظلم، تلحقه "إسرائيل" بالشعب الفلسطيني، مدعومة من أمريكا وأوروبا. ودعا أقصو إلى محاكمة بيريز وأولمرت على أنهما مجرمي حرب، كما دعا إلى سحب السفير التركي من "إسرائيل". ورفعت في التظاهرة لافتات الاستنكار، وصور الشهداء الفلسطينيين.

وفي 2008/3/5 نظمت مجموعة من الشبان المنتمين إلى إحدى النقابات المهنية تجمعاً احتجاجياً أمام قنصلية "إسرائيل" في إسطنبول في منطقة ليفينت Levent. وتحدث البعض في التجمع واصفين "إسرائيل" بالدولة الإرهابية، وبأنها تمارس سياسة إبادة ضدّ سكان غزة. ودعت الكلمات إلى مقاطعة المنتجات الإسرائيلية، ورؤوس الأموال التي تدعم "إسرائيل"، ثم وضع المتظاهرون إكليلاً أسود اللون عند مدخل القنصلية. وكذلك جرى احتجاج على "إسرائيل" في قضاء صابنجة، بمحافظة صقاريا.

وفي 2008/3/7 تظاهر مصلون بعد صلاة الجمعة في مدينة قيصري، منددين بالعدوان على غزة، ومنتقدين عجز العالم الإسلامي، وأقاموا صلاة الغائب على أرواح شهداء غزة.

وفي ديار بكر في جنوب شرق تركيا تظاهرت مجموعة من المصلين بعد صلاة الجمعة أمام جامع أولو Ulu Mosque، منددين بممارسات "إسرائيل"، وأقاموا صلاة الغائب على شهداء غزة.

وفي الوقت نفسه تمكنت أربع شاحنات نقل خارجي تركية كبيرة أن تنقل إلى غزة قسماً من المساعدات تتضمن مواد غذائية وأدوية بقيمة نصف مليون دولار، وذلك عبر الهلال الأحمر التركي إلى مستودعات الهلال الأحمر الفلسطيني في تل الهوى.

وإذا كانت سنة 2008 قد بدأت بحصار غزة وتنفيذ المجازر بحقها فقد انتهت كذلك بأوسع عدوان بدأ بمجزرة في 2008/12/27 وأفضى في غاراته الأولى إلى استشهاد ما لا يقل عن مائتي شهيد، ارتفع عددهم في الأيام التالية مع استمرار القصف الجوي إلى بضع مئات.

وكانت ردّة الفعل التركية غاضبة جداً، وعلى المستويين الرسمي والشعبي. وبرز بهذا الخصوص الموقف الحاد لرئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان، الذي رأى أن العدوان الإسرائيلي على غزة هو "عدم احترام لتركيا". وقال أردوغان إن العمليات العسكرية ضدّ غزة وجهت ضربة للسلام الدولي، وعبر عن رغبته بتقاسم الأحزان مع أهل غزة، وقال: "إن قتل الأبرياء والناس الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم والأطفال والنساء، وتدمير المباني السكنية المدنية، واستخدام القوة المفرطة هو وضع لا يمكن القبول به".

وأضاف أردوغان أنه "بعملية الوساطة بين سوريا وإسرائيل كانت تركيا تتجاوب مع مطلب تذليل الصعوبات التي تعترضها". وقال:

لقد عملنا على امتداد شهور من أجل ذلك، وقبل 3-4 أيام فقط جاء رئيس حكومة إسرائيل إيهود أولمرت لبحث إمكانية القيام بجولة خامسة من المفاوضات، وعلى الرغم من ذلك جاءت هذه العملية (ضدّ غزة) التي هي عدم احترام لتركيا. أنا مضطر لقول ذلك، إن هذه العملية عملية طويلة المدى، كما أن القتل والتدمير هو جريمة إنسانية خطيرة.

وإذ ذكر أردوغان ببيان وزارة الخارجية التركية أضاف: "إننا كدولة لها مساهمة مهمة في عملية السلام أبلغنا وسنبلع ردّة فعلنا المحقة لكل العالم".

وقال أردوغان، الذي اتصل بالأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون، بأنه ذكره بضرورة التدخل بسرعة. وقال إن "على كل البشرية أن تعرف هذا الوضع المأساوي". وأضاف "أن هذا النوع من العمليات لن يخدم السلام، ويجب أن يرى كل واحد ذلك". وقال "إن هذه العمليات، في مرحلة تتكثف فيها جهودنا للسلام، ونحاول تطوير قنوات الحوار ووحدة العمل، حتماً أُلقت ظلالاً على جهود السلام". وأضاف أن هذه العمليات التي أثارت غضب العالم الإسلامي لن تحل مشكلات المنطقة. وقال "أريد أن يقارب بقية العالم غير الإسلامي المشكلة بشكل أكثر حساسية، ويجب ألا ننسى أن العنف يولد العنف".

ودعا أردوغان "إسرائيل" إلى العودة عن هذا الخطأ، وإلى وقف العمليات الجوية فوراً. وقال: إن تركيا "ستواصل وبحزم تقديم المساعدات إلى إخواننا الفلسطينيين". ودعا المجتمع الدولي إلى عدم البقاء صامتاً، ومن دون ردّة فعل على هذه المأساة الإنسانية. وترحم أردوغان على الضحايا الفلسطينيين متمنياً الشفاء للجرحى، وقال إنه أبلغ عبر وزير الصحة استعداد تركيا لاستقبال كل أنواع الجرحى للعلاج.

وأعدت المصادر التركية غضب أردوغان من "إسرائيل" إلى أن أولمرت كان قد زار تركيا في 18 كانون الأول / ديسمبر، أي قبل تسعة أيام فقط من بدء العدوان على غزة، وقد وعد أولمرت كلاً من رئيس الحكومة رجب طيب أردوغان والرئيس التركي عبد الله غول Abdullah Gul بالألا تشهد غزة مأساة إنسانية. وجاء العدوان تكذيباً لوعده أولمرت، الأمر الذي اعتبره الأتراك خداعاً وتضليلاً

واستخفافاً بدور تركيا الوسيط بين سورية و"إسرائيل"، ذلك لأنه أظهر تركيا كما لو أنها على علم مسبق بالعدوان، بل وموافقة عليه. وقد امتنع أردوغان من الاتصال بأولمرت بعد بدء العدوان تعبيراً عن غضبه هذا.

ومن المواقف الرسمية التركية البيان الذي صدر عن اجتماع مجلس الأمن القومي التركي، في 2008/12/30، والذي دعا فيه إلى وقف فوري للعمليات العسكرية الإسرائيلية ضدّ غزة، كما دعا الفلسطينيين، أي فتح وحماس، إلى التوحد.

وفي استتباع للموقف التركي المعارض للعملية العسكرية الإسرائيلية وصل وزير الخارجية المصري أحمد أبو الغيط إلى أنقرة في 2008/12/29 من أجل بحث إمكانية قيام تركيا بوساطة في الأزمة الراهنة، وقد تقرر أن يقوم أردوغان بزيارة إلى سورية والأردن والسعودية ومصر، بدءاً من 31 كانون الأول / ديسمبر.

وأعاد مراقبون أترك زيارة أبو الغيط لإيجاد مخرج من المأزق العربي، ولا سيما الموقف المصري غير القادر على أن يكون وسيطاً بعدما وقفت مصر ضدّ حماس ومنعت فتح معبر رفح؛ مما أدى إلى تضيق الخناق الإسرائيلي على فلسطينيي غزة. فأملت مصر أن تكون الوساطة التركية بديلاً. لكن من جهة ثانية قالت مصادر تركية إن مصر حاولت من خلال زيارة أبو الغيط إلى أنقرة، أن تمنع تركيا من الذهاب بعيداً في انتقاد "إسرائيل" والدفاع عن حماس؛ لأن هذا الأمر يجرح العرب الذين يدعمون الموقف الإسرائيلي مباشرة أو بصورة غير مباشرة.

ولحق زيارة أبو الغيط إلى أنقرة قيام رئيس الحكومة التركية أردوغان بجولة عربية للسعي إلى وقف نار فوري في غزة، وفتح المعابر، وإرسال المساعدات الإنسانية. وشملت الجولة التي بدأت في نهاية العام كلاً من سورية والأردن ومصر والسعودية، كما التقى أردوغان محمود عباس (في الأردن) وخالد مشعل (في سورية). وعاد أردوغان من دون نتيجة، وأطلق بعد عودته إلى تركيا في 2009/1/4 تصريحات حادة ضدّ بدء "إسرائيل" عملياتها البرية على غزة في 2009/1/3، وقال أردوغان في اجتماع في أنتاليا (جنوب تركيا) إن أهات القتلى من أهل غزة لن تبقى في مكانها، وإنه "لن يكون إلا مع المظلومين". وقال "إن إسرائيل تسببت بمأساة إنسانية من خلال الاستعمال المفرط للقوة... دموع الأطفال، النساء العزّل، والأمهات سوف لن تذهب سدى، وسوف يغرق الطغاة في هذه الدموع"<sup>9</sup>. واعتبر أردوغان في وقت لاحق أن مجازر "إسرائيل" في غزة لطحّة سوداء على جبينها، وأن الإسرائيليين لن يفلتوا من محاكمة التاريخ لهم.

وبدوره أطلق الرئيس التركي عبد الله غول مواقف تدين العدوان الإسرائيلي، واصفاً إياه بأنه "الظلم بعينه"، وقال إن الوضع في غزة يحرق قلب كل إنسان. لكن من جهة أخرى رأى أن لا لزوم لأن تطلق حماس الصواريخ، وقال إنه أبلغ ذلك لقادة حماس.

وبرز موقف لافت لوزير العدل التركي محمد علي شاهين Mehmet Ali Sahin في 2009/1/3، عندما وصف "إسرائيل" بأنها "المحرّضة الأولى للإرهاب العالمي، وما دام هذا التحريض مستمراً، فلا يمكن للمعركة ضدّ الإرهاب أن تنجح". وقال إن كلمة "مجازر" قليلة في وصف ما يجري في غزة، معتبراً أن تركيا "تقوم بمسؤوليتها التاريخية، و[رئيس الحكومة رجب طيب] أردوغان يهرع من مكان إلى آخر للبحث عن حل"<sup>10</sup>. وبما أن تركيا أصبحت، منذ بداية سنة 2009، عضواً غير دائم لمدة سنتين في مجلس الأمن، فقد قال أردوغان إنه سيحمل موقف حماس ومطالبها إلى مجلس الأمن.

ويمكن اختصار الموقف التركي من العدوان على غزة بما يلي:

- وقف فوري لإطلاق النار من جانب "إسرائيل" وحماس.
- فتح جميع المعابر إلى غزة.
- إرسال المساعدات الإنسانية إلى داخل القطاع.

أما على الصعيد الشعبي فقد عمّت التظاهرات والاعتصامات الاحتجاجية كل المدن التركية، مطالبة بوقف العدوان والمجزرة. وكانت أكبر تلك التظاهرات على الإطلاق تلك التي نظّمها حزب السعادة التركي (The Turkish Felicity Party (Saadet Partisi)، الذي يدين بالولاء لنجم الدين أربكان Necmettin Erbakan، وأكثر من 150 منظمة أهلية، وشارك فيها أكثر من مليون شخص احتشدوا في ميدان شاغليان Caglayan Square في إسطنبول يوم الأحد في 2009/1/4، وأطلقوا هتافات الموت لـ "إسرائيل" وأمريكا ودعوا الجيش التركي للذهاب إلى غزة ليدافع عنها. وحمل المتظاهرون في التظاهرات المتفرقة صوراً لبوش وأولمرت ورشقوها بالأحذية تيمناً برشق الصحفي العراقي منتظر الزيدي، الرئيس الأمريكي جورج بوش بالحذاء في أثناء زيارة الأخير إلى بغداد في نهاية سنة 2008. كما أقيمت صلوات الغائب على شهداء غزة في معظم المدن التركية. ودعا الكتّابُ والصحفيون الحكومةَ إلى إلغاء الاتفاقيات الثنائية مع "إسرائيل"، ومنع الطائرات الإسرائيلية من التدريب في سماء الأناضول. وكان من أبرز تداعيات العدوان في تركيا انفرط عقد جمعية الصداقة البرلمانية التركية - الإسرائيلية Turkish-Israeli Parliamentary Friendship باستقالة كل النواب الأتراك الأعضاء فيها.

كذلك تحركت مجموعة من النساء التركيات تحت اسم "نساء ملتقيات"، وأصدرن بياناً يدعو الرئيس التركي إلى بذل جهده لدى مصر تحديداً لإنهاء معاناة أهل غزة، وعدم تحويل القطاع إلى معتقل أوشفيتز Auschwitz آخر (أحد معسكرات الاعتقال النازية لليهود في بولندا في أثناء الحرب العالمية الثانية) أو سربيرينيتسا Srebrenica Massacre جديدة (حيث حدثت مذبحه كبيرة لمسلمي البوسنة). وجاءت الرسالة المفتوحة بمبادرة من أساتذة جامعيات وباحثات وصحفيات وكاتبات. وجاء في بيان "نساء ملتقيات" إلى عبد الله غول:

إن غزة المنقطعة عن العالم الخارجي بجدران سميكة منذ 17 شهراً تتجه خطوة خطوة، ومنذ شهر، بسبب انقطاع التيار الكهربائي إلى إبادة جديدة. المستشفيات لا تعمل والأفران لا تنتج الخبز، والشعب الغزوي بسبب إغلاق الحدود مع مصر، لا يستطيع إيجاد ما يأكله ويعالج به. إن غزة محكومة بالعزلة، ووصلت إلى نهاية قدرتها. وهي تعيش، تحت أنظار العالم كله، أوشفيتز كبير من جديد. إننا نخاطب ضمير كل شعوب العالم الذي اختار أن يكون شاهد صمت على هذه الكارثة أو من يمثله: بأي ذنب يُقتل أهل غزة، ويتركون جائعين، ويتعرضون للتعذيب، ويحرمون من أبسط احتياجاتهم المعيشية؟.

نحن لا نريد أن نعيش من جديد سريري نيتسا وأوشفيتز.

عدا ذلك، هذه الكارثة لا تأتي كمحصلة خمسة أو عشرة أيام، بل بظلم موجود منذ أشهر. ولكي لا نعيش، كأمة، عذاب الضمير وهذا الخجل فإننا ندعوكم أن تنهضوا وتدافعوا عنها.

يا فخامة الرئيس، نحن الموقعات أدناه، نطالبكم أن تبدأوا مبادرة دبلوماسية عاجلة من أجل إنقاذ أهل غزة من السحق الوحشي، وأن تتواصلوا مع الحكومة المصرية لفتح الحدود مع غزة، لتأمين المياه النظيفة والأدوية والحاجيات الضرورية الأخرى<sup>11</sup>.

وفي استطلاعات متفرقة للرأي العام التركي نلاحظ استمرار صورة "إسرائيل" السلبية لديه؛ ففي استطلاع لهيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي)، الذي نشر في 2008/4/1، جاء أن 78% من الشعب التركي لا يحب "إسرائيل" فيما يحبها 11% فقط.

وفي أيلول / سبتمبر 2008 نشرت مؤسسة مارشال الألمانية German Marshall Fund of the United States (GMF) استطلاعاً للرأي العام التركي، جاء فيه أن الشعب الفلسطيني هو الشعب الذي يحبه الأتراك أكثر من أي شعب آخر وبنسبة 44%، فيما جاءت "إسرائيل" في المرتبة الأخيرة بنسبة 8%<sup>12</sup>.

ومن مظاهر المشاعر المعتملة في صدور الأتراك ضدّ "إسرائيل" الحادثة التي وقعت بين رئيس جامعة إسطنبول والسفير الإسرائيلي في أنقرة، والتي انتهت إلى طرد السفير الإسرائيلي من مكتب رئيس الجامعة. فقد شهدت جامعة إسطنبول حدثاً غير مسبوق في تاريخ العلاقات بين تركيا و"إسرائيل" عندما تعرض السفير الإسرائيلي في أنقرة غابي ليفي Gabby Levy وقنصل "إسرائيل" في إسطنبول موردخاي أميشاعي Mordechai Amichai للطرد من الجامعة من جانب رئيس الجامعة البروفسور مسعود بارلاق Mesut Parlak، حيث أنهى رئيس الجامعة اللقاء المقرر مع السفير الإسرائيلي قبل أن يبدأ في موعده في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر السبت في 2008/11/22.

ووفقاً لجريدة ميليت التركية Milliyet newspaper، فقد روى بارلاق الحادثة على الشكل التالي:

لقد جاؤوا، ونهضت لاستقبالهم متوجهاً مباشرة إلى باب غرفة مكثبي. جلست وجلس السفير الإسرائيلي. وهنا لاحظت وجود شابين طويلي القامة، وعندما سألت عنم يكونا أجنبي السفير أنهم حرسه. وعندها طلبت منه أن يخرجنا من الغرفة. لكن أحدهما شرع بالسير إلى داخل الغرفة فنهضت وقلت للسفير: أنتم الذين طلبتم الموعد، لكن في هذه الظروف فإن اللقاء انتهى هنا. وأنا أشكركم على المجيء. ثم مشيت وودعتهم حتى مطلع الدرج وقلت لهم: إذا كان يوجد خوف إلى هذه الدرجة، فلماذا جئتم للزيارة؟ ثم قلت لهم: لا تؤخذوني. هنا ليس مستعمرة. هنا الجمهورية التركية. هنا جامعة إسطنبول.

ولقيت الحادثة صداها في الصحف الإسرائيلية في اليوم التالي، حيث قالت جريدة هآرتس إن الدبلوماسيين الإسرائيليين لم يتقيدوا بالقواعد المتعارف عليها داخل الجامعة، وهي أن الأمن داخل الجامعة من مسؤولية الأتراك. واستخدمت الجريدة عنواناً لها "دبلوماسيون إسرائيليون رفيعو المستوى يطردون من جامعة إسطنبول". وقالت الجريدة إن رئيس الجامعة قال لهم إن الجامعة ليست أراضٍ محتلة لتتصرفوا على هواكم.

وذكرت جريدة يديعوت أحرونوت أن وزارة الخارجية الإسرائيلية أكدت الحادثة، وقالت الجريدة إن الأسبوع المنصرم كان سيء الطالع على "إسرائيل"، إذ إن حادثة جامعة إسطنبول هي الثانية بعد حادثة جامعة أوكسفورد؛ حيث صرخ الطلاب بوجه الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز واصفين إياه بأنه مجرم حرب.

ويمكن القول إن الموقف التركي من القضية الفلسطينية حافظ في خطوطه العامة على مساندة الشعب الفلسطيني سواء على مستوى الخطاب الرسمي أو الشعبي. لكن يمكن ملاحظة أن المبادرات التركية العملية من مشاريع اقتصادية في الضفة أو القطاع، أو محاولة التوفيق بين سلطة محمود عباس وحماس لم تشهد مبادرات فعلية وجدية. وربما يكون انشغال حزب العدالة والتنمية الحاكم *Justice and Development Party (Adalet ve Kalkinma Partisi- AKP)* بقضية دعوى إغلاقه أمام المحكمة الدستورية من مطلع العام إلى منتصف الصيف، بالإضافة إلى الصراع العسكري مع حزب العمال الكردستاني *Kurdistan Workers' Party (Partiya Karkerên Kurdistan- PKK)* الذي تجدد على نطاق واسع في سنة 2008؛ من عوامل تراجع الاهتمام التركي الرسمي بالمبادرات العملية تجاه الشعب الفلسطيني في سنة 2008.

## 2. المسار الإسرائيلي:

لا شك أن أبرز محطات الانخراط التركي في الشرق الأوسط كانت على المسار الإسرائيلي فيما يتعلق ببدء مفاوضات سلام غير مباشرة بين سورية و"إسرائيل"، عبر الوسيط التركي بالذات. ولقد أتاحت علاقات تركيا الجيدة مع كل من "إسرائيل" وسورية في الشروع بهذه المفاوضات.

لكن يجب الإشارة بداية إلى أن فكرة المفاوضات لم تصدر عن تركيا، ولم تكن بمبادرة منها، بل ظهرت أولى بوادرها من رئيس الحكومة الإسرائيلية إيهود أولمرت في مطلع سنة 2007 بعد عدوان تموز/ يوليو 2006 على لبنان، ووسط الدعوات لمحاكمة أولمرت على الهزيمة في لبنان، وهو ما تمثل بلجنة فينوغراد. وربما يكون أولمرت أراد من اقتراح المفاوضات مع سورية تحقيق إنجاز، أو التلويح بإمكانية تحقيق إنجاز على المسار السوري، يعيد تعويم موقعه الذي اهتز في الداخل الإسرائيلي، وربما أيضاً نتيجة الاعتقاد أنه لا يمكن هزيمة قوى المقاومة في لبنان والمنطقة وحزب الله تحديداً إلا بإبعاد سورية عن إيران وحزب الله، عبر وعدها بإعادة هضبة الجولان المحتلة كاملة لها.

غير أنه ما كان ممكناً لهذه المفاوضات أن تبدأ لولا حصول سورية، عبر الوسيط التركي ومستشار رئيس الحكومة أحمد داود أوغلو في مطلع سنة 2008، على تعهد إسرائيلي بالانسحاب الكامل من الجولان. وهكذا، ومع موافقة سورية على ذلك أمكن بدء المفاوضات غير المباشرة برعاية تركية في إسطنبول في شهر نيسان/ أبريل 2008. وقد انعقدت أربع جولات من المباحثات حتى منتصف صيف 2008، ولم تستأنف بعدها بسبب استقالة رئيس الوفد الإسرائيلي.

وهنا يمكن ملاحظة أن تركيا لم تكن هي المبادر إلى الوساطة لعلمها بتعقيدات المشكلة. كما أن تركيا لم تقدم خلال جولات المفاوضات أية أفكار واكتفت، وفق تأكيد الوسيط التركي ورئيس الوفد السوري رياض الداودي، بنقل الأفكار بين الوفدين. وكانت الخشية التركية من فشل المفاوضات واضحة، وذلك عبر تصريح لرئيس الحكومة التركية أردوغان في أواخر أيار/ مايو من أن الخطر عليها يأتي من ضعف وضع أولمرت على الصعيد الحكومي. وتأكد ذلك في أواخر صيف 2008 عندما ترنح وضع أولمرت، ومن ثم تقديم استقالته.

ومع ذلك كان مفاجئاً أن تعاود تركيا البحث في استئناف المفاوضات باستقبالها أولمرت المستقيل في 2008/12/22، فيما "إسرائيل" زاهبة إلى انتخابات نيابية مبكرة في 2009/2/10، في ظل غياب مرجعية رسمية ومستقرة في "إسرائيل".

لذا عندما بدأت "إسرائيل" عدوانها الواسع على غزة في 2008/12/27 كان أردوغان يستشيط غضباً من خداع "إسرائيل" وأولمرت تحديداً له، والذي وعده أولاً بعدم مهاجمة غزة، وثانياً باستئناف عملية المفاوضات مع سورية. ومن هنا جاء موقف أردوغان، الذي اعتبر العدوان على

غزة عدم احترام لتركيا، وأيضاً رآه عملاً يلقي بظلاله على الوساطة التركية. وبعد أيام قال وزير الخارجية التركي علي باباجان إنه من المستحيل في ظل الظروف الجديدة استئناف عملية السلام بين سورية و"إسرائيل".

وعلى الرغم من الحماسة التركية لوساطتها، التي تمنحها بالطبع مزيداً من النفوذ والتقدير في المنطقة، غير أن أحداً من الأتراك لم يكن واهماً حول ما ستؤول إليه المحادثات. فـ"إسرائيل" غير مستعدة للسلام وتريد المفاوضات لأهداف تكتيكية، كما أن سورية بلسان الرئيس بشار الأسد قالت إنها تريد رعاية أمريكية مباشرة للمفاوضات، بعد انتهاء إدارة جورج بوش. كما أن تركيا غير قادرة على فرض أية أفكار؛ لأنها لا تملك أوراقاً تؤثر على المتفاوضين، ولا تملك القدرة على حماية أية نتائج قد يتوصل إليها الطرفان. وعلى هذا بدت المفاوضات أقرب إلى عملية تقطيع وقت أو مرحلة انتقالية، في انتظار المتغيرات السياسية الناشئة عن الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة والنيابية في "إسرائيل". غير أن كل ذلك لا يمنع أن يتواصل الدور التركي الوسيط على الصعيدين اللوجستي والجغرافي، وحيثما تعذر أن يكون الأمريكي أو الأوروبي وسيطاً؛ سواء فيما يخص "إسرائيل" أو إيران أو غيرها من القضايا الخلافية مع الغرب.

وعلى الصعيد العسكري تواصل التعاون في أكثر من مجال. فقد تعددت زيارات المسؤولين العسكريين المتبادلة سواء على مستوى وزير الدفاع أم على مستوى القوات الجوية والبحرية. كما أجريت مناورات عسكرية جوية وبحرية مشتركة مع "إسرائيل" وبمشاركة الولايات المتحدة. واستمر التعاون الاستخباراتي بين تركيا و"إسرائيل" بشأن الأكراد وغير ذلك.

وسعت تركيا إلى شراء طائرات من دون طيار من طراز هيرون Heron، وقد تعددت المحادثات من أجل ذلك لاختبار الجدوى العملياتي لها، علماً أن إحداها قد سقطت في أثناء تجربتها في تركيا لتسويقها وبيعها في الشهر الأخير من سنة 2008. ومن غير المعروف بعد ما إذا كانت تركيا ستشتري عدداً من هذه الطائرات أم لا.

## ”مشروع القرن“:

ربما كان اتفاق تركيا و"إسرائيل" على إنشاء خط أنابيب من جيحان Ceyhan إلى ميناء عسقلان Ashkelon من أبرز التطورات الاقتصادية، ذات البعد السياسي أيضاً، في العلاقات بين البلدين لسنة 2008. وقد تمّ الاتفاق على إعداد تصور شامل لهذا الموضوع أثناء زيارة لوزير البنى التحتية الإسرائيلي بنيامين بن إيعازر إلى تركيا، واجتماعه مع نظيره التركي حلمي غولير Hilmi Güler في 16 آب/ أغسطس. وسوف يمتد الخط المقترح، والذي وصف بأنه ”مشروع القرن“، من ميناء جيحان التركي على البحر الأبيض المتوسط إلى ميناء عسقلان الإسرائيلي. ويهدف الخط إلى نقل النفط والغاز والكهرباء والمياه إلى "إسرائيل". والأهم أنه سيتصل بعد ذلك

بالخط الموجود حالياً بين عسقلان وإيلات Eilat، ومن ثم يخطط لأن ينقل الخط هذه المواد عبر حاويات بحرية إلى الهند، وكذلك إلى بلدان شرق آسيا. ويفترض أن يكتمل إنشاء الخط خلال ثلاثة أعوام، بعد تأمين التمويل اللازم له.

والخط المقترح هو عملياً امتداد للخط الحالي القائم بين سامسون Samsun على البحر الأسود وجيحان على البحر المتوسط، وسوف ينقل الغاز الطبيعي والنفط المتدفق في خط سامسون- جيحان Samsun-Ceyhan Pipeline وخط باكو- جيحان Baku-Ceyhan Pipeline، وهذا يتطلب عقد اتفاقيات بين "إسرائيل" وكل من روسيا وأذربيجان وتركمانستان لنقل النفط والغاز عبر خط جيحان-عسقلان Ceyhan-Ashkelon Pipeline.

وذكر غولير أن "الخط المقترح ليس خطأً ذا بعد اقتصادي فقط، بل هو إسهام مهم في الاستقرار والسلام في المنطقة. فالمواد التي ينقلها هي مما تحتاجه المنطقة. فإذا نجحنا في هذا الموضوع نكون نحن وإسرائيل ساهمنا بقوة في التنمية والاستقرار والسعادة في المنطقة. هذا ليس مشروعاً ثنائياً مع إسرائيل فقط، بل متعدد الأطراف". وقال غولير إن التحضيرات التمهيدية للخط ستستغرق عشرة أشهر؛ ليتمّ البدء بإنشائه وإنهائه خلال ثلاث سنوات. وتبلغ طاقة نقل الخط من النفط حوالي 40 مليون طن سنوياً، فيما تقدر الكلفة بستة مليارات دولار. وقال اليعازر إن تركيا و"إسرائيل" بهذا التوقيع على الخط تسهمان بعملية السلام في المنطقة، وقال "إنه توقيع كبير جداً".

وخلال زيارة إلى الهند، برفقة رئيس الحكومة التركية في خريف 2008، قال وزير الطاقة التركي غولير إن الهند ستكون شريكاً في المشروع الذي يفيدها. وقال إن خط جيحان-الهند سوف يخفف عن مضيقي البوسفور والدردينيل جزءاً من ناقلات النفط، كما أنه سيوصل النفط إلى الهند خلال 19 يوماً بدلاً من 46 يوماً، مقدار الرحلة البحرية عبر مضيق جبل طارق ورأس الرجاء الصالح. كما سيكون الخط نقطة تحول في العلاقات الهندية - التركية. ولا شك أن خط جيحان عسقلان البحر الأحمر، في حال اكتماله، سيشكل عاملاً كبيراً في توثيق العلاقات التركية - الإسرائيلية، كما أنه يعزز الحضور الإسرائيلي في الشرق الأوسط، وعلاقات "إسرائيل" مع العالم، ومع دول مثل الهند وروسيا وأذربيجان وتركمانستان، وبعض دول جنوب شرق آسيا.

وعلى صعيد اقتصادي آخر، دخلت بعض الجهات والشركات الإسرائيلية على خط شراء بعض المؤسسات التركية في إطار عمليات الخصخصة التي أجريت سنة 2008. وارتفع حجم العلاقات التجارية بين تركيا و"إسرائيل" في سنة 2008 عنه في سنة 2007، إذ بلغت الصادرات التركية إلى "إسرائيل" سنة 2008 حوالي 1.83 مليار دولار مقارنة بنحو 1.61 مليار دولار سنة 2007، أي بزيادة قدرها 13.6%. فيما بلغت الواردات التركية من "إسرائيل" سنة 2008 حوالي 1.62 مليار دولار مقارنة بنحو 1.2 مليار دولار سنة 2007، أي بزيادة قدرها 35.1% (انظر جدول 4/1)<sup>13</sup>.

## عوامل التواصل مع "إسرائيل":

هناك عوامل دفعت باتجاه تعزيز العلاقات بين تركيا و"إسرائيل" في سنة 2008، كان أبرزها انفجار الصراع بشكل عنيف بين القوات التركية وحزب العمال الكردستاني. وهنا تشعر تركيا بالحاجة إلى "إسرائيل" كمصدر لبعض المعدات العسكرية المهمة؛ لرصد حركة المقاتلين الأكراد، ومن ذلك الحاجة لطائرات تجسس من دون دون طيار، التي تنتجها "إسرائيل"، والمناظير الليلية، والمعلومات الاستخباراتية. وكلما تصاعد النزاع التركي - الكردي ارتفعت حرارة الاتصالات بين أنقرة وتل أبيب، ولهذا صلة مباشرة بموقف الجيش التركي أكثر منه موقف السلطة السياسية في أنقرة.

وربما لعب اضطلاع تركيا بدور الوسيط بين سورية و"إسرائيل" دوراً في عدم تصعيد الموقف التركي من "إسرائيل"، بل أيضاً تعزيز هذه العلاقات من أجل إنجاز الوساطة. لكن ما حصل في نهاية سنة 2008 من عدوان إسرائيلي على غزة، هزّ بعنف الآمال التركية بشأن الرغبة الإسرائيلية في المضي في عملية السلام، وبالتالي تحقيق إنجاز تركي إقليمي، بل دولي كبير على هذا الصعيد.

وانطلاقاً من الرؤية التركية لطبيعة العلاقات مع "إسرائيل" في كونها مفتاحاً للضغط على البيت الأبيض، فقد وجدت تركيا حاجة إلى اللوبي اليهودي في أمريكا لمنع تمرير قانون يعترف بـ "الإبادة الأرمنية في الكونجرس، وهو جهد أرمني بلغ ذروته في نهاية سنة 2007 وسنة 2008.

ولا شك أن الصعوبات التي مرّ بها حزب العدالة والتنمية سنة 2008 من ناحية الدعوى لحظره أمام المحكمة الدستورية، وتحركه الكثيف على الصعيد الخارجي، ولا سيما الأوروبي والأمريكي لممارسة ضغوط على القوى المناوئة له في الداخل؛ كانت من عوامل عدم تعريض العلاقات مع الغرب وتالياً "إسرائيل" لأية خضات تضعف موقف الحزب ووضعه في الداخل التركي.

ويمكن القول إنه على الرغم من التوتر الكبير الذي ساد العلاقات التركية الإسرائيلية في نهاية سنة 2008 ومطلع سنة 2009؛ فإن هذه العلاقات ستستمر على مستوى جيّد، نظراً للطبيعة المركبة لهذه العلاقة، ونظراً لحاجة كل منهما للآخر في العديد من الملفات الموروثة، ولا سيما أن "إسرائيل" لا يمكن أن تفرط بخسارة بلد مسلم كبير مثل تركيا، مهما كانت سلبية المواقف التي يمكن أن تتخذها السلطة في تركيا من "إسرائيل".

كما أن تركيا في ظلّ السياسة الموروثة المرسومة، والتي ما تزال قائمة في كيفية معالجة بعض الملفات مثل المسألة الكردية والأرمنية والتسلح والدخول إلى الاتحاد الأوروبي، ستبقى تشعر بالحاجة إلى "إسرائيل" كمفتاح أو مصدر للتزود بقدرات لا تمتلكها تركيا.



أما على الصعيد الفلسطيني فإن السقف التركي الرسمي سيبقى مرتفعاً على الصعيد الوجداني والعملية، بمعزل عن درجة هذا التعاطي ما دام حزب العدالة والتنمية في السلطة. ولن تتردد تركيا في أن تكون جزءاً من أي حلّ أو تسوية للوضع في غزة أو فلسطين، وهو أمر لا يعارضه لا الفلسطينيون ولا "إسرائيل". غير أن قدرة تركيا على أن تكون رأس حربة في جهود للتوفيق بين السلطة الفلسطينية وحماس، أو للتسوية بين "إسرائيل" والفلسطينيين هي موضع شك في ظلّ الانقسامات العربية، واستمرار المشروع الإسرائيلي الاستيطاني الرافض لعملية سلام عادلة. لكن، لا شك أن تركيا ستبقى حاجة للجميع، سواء على المسار الفلسطيني، أم الإسرائيلي - الفلسطيني، أم الإسرائيلي - السوري، على الأقل في جانبها اللوجستي.

### ثالثاً: إيران

كانت سنة 2008 هي سنة قطاع غزة من دون منازع، وهي سنة التضامن الشعبي العربي والإسلامي والدولي مع فلسطين، من خلال ما جرى للقطاع؛ فقد بدأت السنة بحصار سياسي واقتصادي وتمويني إسرائيلي لغزة وأهلها وقواها السياسية، خاصة حركة حماس بعد سيطرتها على القطاع منذ سنة 2007، لتنتهي بحرب وحشية حصدت منذ أيامها الأولى مئات الشهداء، معظمهم من الأطفال والنساء.

كانت إيران منذ أيام الحصار الأولى قد اتخذت المواقف المنددة، وكان الأمر طبيعياً في إطار سياسات إيران المعلنة والرسمية المعادية لـ"إسرائيل"، والمؤيدة لحركة حماس خاصة، ولحركة المقاومة ضدّ "إسرائيل" عامة. فهذا هو الرئيس محمود أحمددي نجاد Mahmoud Ahmadinejad يردّ على التهديدات الإسرائيلية باغتيال رئيس الحكومة الفلسطينية إسماعيل هنية، باتهام النظام الإسرائيلي بممارسة الإرهاب، وينطلق من هذا الموقف ليدين الدول الغربية وأدعياء حقوق الإنسان، وأصحاب الشعارات التي تنادي بالحرية، والتي "تلتزم الصمت وهي تسمع تهديدات إسرائيلية بحق رئيس حكومة انتخب بشكل ديمقراطي"<sup>14</sup>. ولم يتردد الرئيس الإيراني في معظم المناسبات، التي تحدث فيها عن "إسرائيل" وعن القضية الفلسطينية، من تكرار مواقفه نفسها التي يؤكد فيها أن "كيان إسرائيل فقد فلسفة وجوده" وأن "دعم الفلسطينيين واجب ديني". كما قال "إن الصهاينة لن يجنوا شيئاً من وراء أعمالهم الإجرامية، وعليهم الخضوع لإرادة الشعب الفلسطيني"، الذي دعاه أحمددي نجاد إلى "الصبر والتوكل على الله"<sup>15</sup>. وما كان يقصده الرئيس الإيراني من أعمال إجرامية هو الحصار من جهة، وعمليات القصف والاعتقالات التي لم تتوقف على غزة من جهة ثانية. كان الحصار بالنسبة إلى المسؤولين الإيرانيين فرصة للتأكيد على مواقفهم من الكيان الصهيوني؛ فالرئيس أحمددي نجاد يدعو الغرب إلى "تقبل فكرة انتهاء حياة الصهيونية عاجلاً أو آجلاً"، ونصح الدول الغربية بالتخلي عن الكيان الصهيوني "الذي انتهى"، وقال إن "الذين يدعمون الصهاينة المجرمين يجب أن يعرفوا أن أيام المحتل معدودة"<sup>16</sup>.

ونسبت وكالة الأنباء الإيرانية إلى مساعد وزير الخارجية في شؤون التدريب والأبحاث منوشهر محمدي Manouchehr Mohammadi تأكيده "على عدم إيجاد دولتين في فلسطين، وأن المجتمع الدولي ليس أمامه خيار إلا استمرار جرائم الكيان الصهيوني، أو القبول بالاستفتاء". ووصف محمدي "التطورات والانتهاكات الصهيونية في فلسطين بأنها أهم حادث في الشرق الأوسط والأمة الإسلامية والعالم"<sup>17</sup>، في حين أكد وزير الدفاع الإيراني العميد مصطفى نجار "أن الجرائم التي ترتكبها إسرائيل في غزة، في ظلّ الدعم الأميركي والصمت العالمي المطبق، تشكل تصديقا بارزا لازدواجية المعايير لدى الأسرة الدولية"<sup>18</sup>.

مع استمرار الحصار وتفاقم الأزمة الإنسانية في قطاع غزة، تطورت المواقف الإيرانية؛ فبدأ التركيز على ما ترتكبه القوات الصهيونية من مجازر بحق الشعب الفلسطيني، ثم تكررت المواقف بشأن زوال "إسرائيل"، والدعوة إلى الاستفتاء لتقرير مصير فلسطين والشعب الفلسطيني، رداً على الدعوات إلى الدولة اليهودية، ثم انتقل الاحتجاج على الحصار إلى الدعوة إلى كسره، ثم إلى اتهام الولايات المتحدة بالتواطؤ مع "إسرائيل" في قتل الفلسطينيين، وصولاً إلى دعوة مصر إلى التعاون لتقديم المساعدات إلى الفلسطينيين، قبل أن تعود إيران إلى اتهامها بالتواطؤ مع "إسرائيل" في الحصار على غزة. وقد تسبب هذا الاتهام في عودة التوتر إلى العلاقات الإيرانية المصرية، التي ما تزال إلى اليوم تفتقد التبادل الدبلوماسي بين البلدين، خلافاً لكل الدول العربية الأخرى. وسيستمر تبادل الاتهام بين إيران ومصر على قاعدة الخلاف حول ما يجري في غزة، وحول أسباب الحصار، وحول المواقف من حركة حماس ومن العدوان الإسرائيلي على غزة، وقد تطورت المواقف الإيرانية بشأن ما يجري في غزة في الأشهر الأولى للحصار من خلال:

1. الدعوة إلى اجتماع إسلامي طارئ لبحث جرائم "إسرائيل"؛ فقد طلب وزير الخارجية الإيراني منوشهر متكي Manouchehr Mottaki من أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي أكمل الدين إحسان أوغلو الدعوة، وعلى وجه السرعة، إلى عقد مؤتمر طارئ لوزراء خارجية الدول الأعضاء، بهدف "دراسة الجرائم ضدّ البشرية التي يرتكبها الكيان الصهيوني في قطاع غزة". واعتبر متكي أن البحث عن حلول "مناسبة وسريعة للحدّ من جرائم الكيان الصهيوني الوحشية هي أحد الأسباب الأخرى لطلبه عقد الاجتماع الطارئ"<sup>19</sup>. وقال المتحدث باسم الحكومة الإيرانية غلام حسين إلهام Gholam Hossein Elham "إن إسرائيل تعمل على تحويل غزة إلى هولوكوست أخرى"<sup>20</sup>. وأعلن الرئيس الإيراني "أن إسرائيل سيتم اقتلاعها، وأن قادتها سيحاكمون"، في تعليق على العدوان المستمر على غزة، وأضاف في حديث إلى التلفزيون الإيراني "سبق وقلت إن المحرقة الفعلية تحصل في فلسطين... كل طفل يقتل في الأراضي الفلسطينية سيتمّ القيام بتحريك قضائي لكشف المسؤولين عن هذا الأمر، عليهم أن يعلموا أنهم سيلاحقون واحداً تلو الآخر". وأكد نجاد أن غزة ليست سوى بداية،



وأن "إسرائيل تواجه الهزيمة وسيتمّ اقتلاعها"<sup>21</sup>. وفي إطار التحريض ضدّ "إسرائيل" وممارساتها في غزة، خصصت بعض المنظمات في إيران جائزة كبرى لمن يقتص من القادة الإسرائيليين الثلاثة الذين تمّ تشخيصهم بأنهم وراء عمليات الإبادة للشعب الفلسطيني و اغتيال المجاهدين، وهم: إيهود باراك، ومئير داغان Meir Dagan رئيس الموساد، وعاموس يادلين Amos Yedlin رئيس استخبارات الجيش<sup>22</sup>.

ومن اللافت للنظر في المواقف والتصريحات الإيرانية التأكيد الدائم على ضعف الكيان الصهيوني، ودخوله مرحلة التراجع والضعف والانحلال، وأن مصيره الزوال، وتكررت على لسان أكثر من مسؤول سياسي وعسكري في إيران مصطلحات مثل "العدّ التنازلي"، و"زوال إسرائيل"، و"محو إسرائيل"، و"اقتلاع إسرائيل"، و"هزيمة إسرائيل"، و"انتهاء الكيان الصهيوني"، و"الجرثومة القذرة"، و"الحيوان المتوحش"، و"الكيان المصطنع".

2. اتهام الولايات المتحدة بأنها شريك مع "إسرائيل" في اغتيال قادة حماس؛ فقد قال رئيس مجلس الشورى الإيراني السابق غلام علي حداد عادل Gholam Ali Haddad Adel في 2008/2/21 "إن أمريكا قامت مع إسرائيل بتنظيم عمليات إرهابية لاغتيال القادة الفلسطينيين".

3. المطالبة بكسر الحصار، وقد بدأ الأمر بمطالبة الدول الإسلامية مساعدة الحكومة المصرية في هذا الموضوع، مع التأكيد على خيار المقاومة "لإنقاذ الشعب الفلسطيني"؛ فقد دعا المرشد الإيراني السيد علي خامنئي Ali Khamenei البلدان الإسلامية لكسر الحصار عن قطاع غزة، ومساعدة شعب مصر وحكومته في هذا المجال في ضوء مسؤوليتهما التاريخية الكبرى في هذا الموضوع، وحذر خامنئي الحكومات الإسلامية من أن تتحول كبعض الأطراف، إلى أداة ضدّ الفلسطينيين في غزة. وقال إن المقاومة هي الخيار الوحيد لإنقاذ الشعب الفلسطيني، داعياً "الفلسطينيين لحفظ وحدتهم والتفافهم حول حكومتهم المنتخبة"<sup>23</sup>. كذلك توقع عضو مجلس الخبراء أحمد خاتمي Ahmad Khatami رداً قوياً من حركة المجاهدين على حصار غزة، ورأى أن من تبعات زلزال فينو غراد هو الهجوم الوحشي على قطاع غزة، وقال إن على "إسرائيل" أن تتوقع حركة قوية من المجاهدين الفلسطينيين رداً "على حصار غزة، وتكرار الاعتداءات الوحشية على القطاع"<sup>24</sup>.

4. الردّ على مقولة تبعية حماس لإيران، من خلال التأكيد على استقلالية الحركة؛ فقد قال المتحدث باسم الخارجية الإيرانية محمد علي حسيني Mohammad Ali Hosseini، رداً على تصريحات الملك عبد الله الثاني التي قال فيها إن قادة حماس رهن إشارة إيران "إن قرارات حماس ليست خاضعة لأوامر أي دولة، ومن المؤسف أن بعض الدول العربية في المنطقة تتأثر

أحياناً بسياسات أميركا وإسرائيل وتغض الطرف عن مصالح الشعب الفلسطيني، ويعدّ هذا النوع من التوجه نوعاً من سياسة إلقاء اللوم على الآخرين، ولا يتطابق مع الحقائق على الساحة الفلسطينية<sup>25</sup>.

5. الدعوة إلى استفتاء شامل في الأراضي المحتلة لحل مشكلة القضية الفلسطينية و"إسرائيل"؛ فقال مستشار الرئيس الإيراني مجتبي ثمره هاشمي Mojtaba Samareh Hashemi "إن وجهة نظر إيران إزاء القضية الفلسطينية وإسرائيل هي إجراء استفتاء شعبي، يشترك فيه الفلسطينيون في الأراضي المحتلة سواء كانوا من المسلمين أو اليهود أو المسيحيين، إضافة إلى اللاجئين الفلسطينيين في جميع أنحاء العالم، خاصة في لبنان وسورية والأردن. وأي نتيجة يتمخض عنها يجب أن يقبل بها المجتمع الدولي"<sup>26</sup>. وكرر الفكرة نفسها ناطق نوري Nateq Nouri، مستشار المرشد السيد علي خامنئي، معتبراً أن إجراء انتخابات في فلسطين هو السبيل الوحيد لحل المشكلة الفلسطينية، متهماً الأمريكيين بالوقوف في وجه إجراء مثل هذه الانتخابات<sup>27</sup>. ومن المعلوم أن فكرة الانتخابات التي أخذت طريقها إلى أدبيات المسؤولين الإيرانيين هي بمثابة حل ومخرج قانوني، يبعد عنهم تهمة العداة لليهودية وللسامية، التي يلجأ إليها الغرب، عندما تتم الدعوة إلى زوال "إسرائيل" أو إلى القضاء عليها.

6. دعم حماس والتأكيد على شرعية المقاومة واستمرارها؛ فقد رأى أمين عام المجلس الأعلى للأمن القومي، سعيد جليلي Saeed Jalili، خلال استقباله في طهران رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل "أن المقاومة والصمود الشامل والواعي للشعب الفلسطيني جدير بالاحترام، وأن سرّ نجاح حماس يتمثل في صيانتها بجد لحقوق الشعب الفلسطيني". كما قال المرشد الأعلى في المناسبة نفسها إن الكيان الصهيوني بات عاجزاً عن مواجهة الشعب الفلسطيني داعياً إلى مواصلة المقاومة. ووصف خامنئي المواقف التي تتخذها قيادة حماس، ورئيس الوزراء إسماعيل هنية بأنها شجاعة، وتبعث على الأمل والفرح والسرور، وندد بالحصار اللاإنساني المفروض على غزة، وعمليات القتل التي يتعرض لها الأطفال يومياً. ثم أعلن المرشد في تصريح لافت الدعم المباشر لحماس ووقوف إيران إلى جانبها في غزة، وهو بمثابة ردّ على القوى الأخرى العربية وغير العربية التي تحاصر حماس، وتريد تقويض حكمها في القطاع؛ فقال في خطبة صلاة عيد الفطر في 2008/10/2 بعد تأكّده أن الصهاينة في طريقهم إلى الانهيار والضعف: "إن إيران ستقف إلى جانب حكومة حماس في غزة"، واصفاً رئيس الوزراء إسماعيل هنية بالمجاهد، داعياً إلى "تضافر الجهود والمزيد من التضامن لنصرة الشعب الفلسطيني"<sup>28</sup>. وحذر في المناسبة نفسها من جميع أشكال الطائفية والتفرقة بين المسلمين، لأن العدو لا يفرق بينهما، داعياً العالم الإسلامي إلى "تضافر الجهود، والمزيد من التضامن لنصرة الشعب الفلسطيني". وكرر الرئيس أحمددي نجاد الموقف نفسه،



وبوضوح لافت، بقوله: "إن بلاده ستستمر في دعم حركة المقاومة الإسلامية حماس حتى تنهار إسرائيل"، وإن إيران "تعتبر دعمها للفلسطينيين واجباً قومياً ودينياً، وستقف إلى جانب الفلسطينيين حتى عيد النصر الأكبر، وهو انهيار النظام الصهيوني".

7. انتقاد الحكومة المصرية لاستمرارها في إغلاق معبر رفح؛ مما أدى إلى عودة التوتر الشديد في علاقات البلدين، خاصة على مستوى التصريحات والتهامات المتبادلة، وقد انتقل الموقف الإيراني من انتقاد السياسة المصرية إلى انتقاد بعض الدول العربية التي تشارك في حصار غزة أو تصمت عما يجري لها؛ فحمل رئيسُ مصلحة تشخيص النظام، هاشمي رفسنجاني Hashemi Rafsanjani، الحكومة المصرية مسؤولية إغلاقها معبر رفح بوجه أهالي غزة "المظلومين، وتفجير الأنفاق التي يمرون منها".

ونقلت وكالة الأنباء الإيرانية (إرنا) (Islamic Republic News Agency (IRNA) عن رفسنجاني قوله في خطبة صلاة عيد الأضحى: "لا أدري كيف يتحمل المصريون رغم ماضيهم الحضاري والإسلامي إغلاق حدودهم بوجه إخوانهم"، ووصف الوضع في غزة بالكارثي، وأكد أن غضب المسلمين "سينفجر ليحرق الصهاينة، وأن العار سيلحق الدول الإسلامية التي تقاعست عن نصرته إخوانهم الفلسطينيين"، وتبعه في الموقف نفسه علي أكبر محتشمي Ali Akbar Mohtashemi، الأمين العام لمؤتمر دعم الشعب الفلسطيني، عندما قال "إن مسؤولية العدوان تقع على عاتق الرئيس المصري حسني مبارك"، وقال بأن مبارك "كان على علم مسبق بالعدوان على غزة"، وطالب "بمحاكمة بعض الرؤساء والزعماء العرب والرئيس الأميركي وزعماء إسرائيل".

ومما زاد من شقة الخلاف المصري الإيراني أن التظاهرات الغاضبة التي خرجت إلى الشوارع في طهران استنكاراً لما يجري في غزة أن بعضها هاجم مكتب رعاية المصالح المصرية، ومنعتهم الشرطة من الدخول إليه. علماً بأن التظاهرات والاعتصامات حصلت أيضاً أمام أكثر من 25 سفارة عربية وأجنبية، شاركت في مؤتمر حوار الأديان الذي دعت إليه السعودية، وعقد في نيويورك في نهاية شهر تشرين الثاني / نوفمبر 2008. ونسب الطلاب إلى الحكومة المصرية "منع المساعدات الإنسانية وقوافل الإغاثة من الدخول إلى غزة"، واتهموها بـ"التعاون مع إسرائيل في فرض الحصار، وارتكاب المجازر ضد الأطفال والنساء الفلسطينيين". لم تتأخر الدبلوماسية المصرية كثيراً في الرد على المواقف الإيرانية، وتبعتها المؤسسة الإعلامية الرسمية في الهجوم المباشر على إيران، وعلى سياستها في المنطقة، واستدعت وزارة الخارجية رئيس مكتب رعاية المصالح الإيرانية في القاهرة، وأبلغته احتجاج مصر واستياءها الشديد "إزاء ما دأبت عليه بعض الدوائر الإيرانية من ترتيب مظاهرات أمام

مقر البعثة الدبلوماسية لمصر في طهران". ووصف بعض الكتاب والصحفيين المصريين، مثل رئيس تحرير جريدة الجمهورية محمد علي إبراهيم، ما فعله الطلاب الإيرانيين بأنه "سفالة وقلة أدب"، وأضاف "منذ أن تدخلت إيران إلى جوار حركة حماس، ودفعت مرتبات باهظة إلى المسؤولين فيها؛ والصراع العربي - الإسرائيلي يزداد صعوبة، كانت الدولة الفلسطينية على وشك أن تُعلن لولا تعنت إسرائيل، والانشقاق الداخلي الفلسطيني الذي نظمته ومولته وشجعت عليه طهران"<sup>29</sup>.

كما رفضت مصر بطبيعة الحال انتقادات المسؤولين الإيرانيين لها؛ فقال المتحدث باسم وزارة الخارجية المصرية: "إن مصر لا تقبل المزايدة عليها، من أي طرف كان، في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية، خاصة وأن تاريخها في دعم هذه القضية معروف للجميع، ولا يحتاج إلى إقرار من أحد". في حين قال، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشورى المصري، محمد بسيوني: "إن إيران لا تريد استمرار الدور المحوري لمصر في منطقة الشرق الأوسط، الذي يهدف إلى تحقيق الاستقرار والتنمية". لكن ذلك لم يمنع استمرار الاتصالات من أجل الدعوة من الجانب الإيراني إلى عقد اجتماع لترويك اتحاد البرلمانات الإسلامية "من أجل بحث موضوع الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة الفلسطيني". فاتصل علي لاريجاني Ali Larizani، رئيس مجلس الشورى الإيراني، بنظيره أحمد فتحي سرور لهذا الغرض، وكذلك اتصل وزير الخارجية منوشهر متكي من أجل إرسال المساعدات إلى غزة عبر معبر رفح. لكن علي لاريجاني انتقد أيضاً الحكومة المصرية بشدة لاستقبالها تسيبي ليفني وزيرة الخارجية الإسرائيلية، معتبراً "أن بلاده واجهت أمريكا وحدها، فيما كانت الدول المطلة على الخليج تساند واشنطن، وأخرى تلتزم الصمت". وقال "إننا نفتخر بأننا ندعم حماس وحزب الله، وليخجل الذين يتصورون أن بإمكانهم أن يركعوا شعباً من خلال فرض الحصار عليه"<sup>30</sup>.

ومع بداية العدوان الإسرائيلي على غزة في نهاية سنة 2008 ارتفعت حدة الانتقادات الإيرانية للدول العربية، وزادت مطالبها الدول الإسلامية بالتحرك لوقف هذا العدوان؛ فقال مرشد الثورة السيد علي خامنئي "إن سكوت وتشجيع بعض الأنظمة العربية، التي تدعي الإسلام، عن جرائم إسرائيل هي المصيبة الأكبر". ودعا علماء الأزهر إلى "إعلاء كلمة الحق، ودق ناقوس الخطر، الذي يهدد الإسلام"، مطالباً "المسلمين بنصرة الشعب الفلسطيني". كما توجه السيد خامنئي إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، فدعاها إلى القيام بواجبها التاريخي في مواجهة "إسرائيل" ومحكمة رؤسائها المجرمين ومعاقبتهم<sup>31</sup>. وأضاف "أن من واجب جميع المجاهدين الفلسطينيين والمؤمنين في العالم الإسلامي الدفاع عن النساء والأطفال العزل في غزة، وسيكونون في مراتب الشهداء إذا ما قتلوا"<sup>32</sup>. وبالإضافة إلى محاولات إرسال المساعدات الإنسانية والطبية إلى القطاع المحاصر<sup>33</sup>؛ فقد أدانت إيران



بقوة الحرب الإسرائيلية على غزة، وكذلك الصمت الدولي، وطالب المتحدث باسم خارجيتها حسن قشقاوي Hassan Kashkawi "المجتمع الدولي [لا] سيما مجلس الأمن ومنظمة المؤتمر الإسلامي بالتحرك، لمنع الكيان الصهيوني من الاستمرار في ارتكاب جرائمه الوحشية ضد الفلسطينيين"<sup>34</sup>. وخرجت التظاهرات في العاصمة طهران تنديداً بالعدوان، شارك فيها مسؤولون إيرانيون، وقيادات رفيعة المستوى في الجيش وحرس الثورة الإيراني، وخرجت تظاهرات مماثلة في المدن الإيرانية الأخرى<sup>35</sup>. وفتحت مجموعة من رجال الدين باب التطوع لمحاربة النظام الصهيوني "إما في المجال العسكري أو المالي، أو مجال الدعاية"<sup>36</sup>، وتتابع المواقف نفسها على لسان أكثر من مسؤول إيراني من الشيخ هاشمي رفسنجاني إلى وزير الخارجية منوشهر متكي. وأرسلت بعثة إيران إلى الأمم المتحدة رسالة عاجلة إلى رئيس مجلس الأمن طالبت فيها باتخاذ خطوات عاجلة "لمواجهة جرائم الكيان الصهيوني في غزة، ولإنهاء عمليات القتل ضد أبناء الشعب الفلسطيني"<sup>37</sup>.

لكن عام الحصار على غزة لم يقلل من أهمية المفاوضات السورية - الإسرائيلية غير المباشرة، ومن التوقعات التي ارتبطت بتلك المفاوضات، وبتأثيراتها المحتملة على حركات المقاومة في فلسطين أو في لبنان، خاصة وأن "إسرائيل" كانت تقول علانية إنها تستهدف من تلك المفاوضات، ومن السلام مع سورية، عزل هذه الأخيرة عن إيران وعن حماس وحزب الله، بحيث يؤدي هذا السلام إلى إنهاء الصراع في الشرق الأوسط. وهي الفكرة نفسها التي دعا إليها ريتشارد هاس Richard Haass ومارتن إنديك Martin Indyk في دراستهما "بعيداً عن العراق: استراتيجية أمريكية جديدة في الشرق الأوسط" Beyond Iraq: A New U.S. Strategy for the Middle East نشرت على موقع تقرير واشنطن، حيث دعا الكاتبان الإدارة الجديدة إلى "بذل المزيد من الجهود للتوصل إلى اتفاق سلام بين إسرائيل وجيرانها العرب، لا سيما على الجانب السوري، انطلاقاً من أن السلام على هذا الجانب سوف يحد من الدور الإيراني إقليمياً؛ فالسلام بين تل أبيب ودمشق سيعمل بحسب تلك الدراسة على "إحداث انفصال في الشراكة الاستراتيجية بين طهران ودمشق، بالإضافة إلى تقويض الدعم الإيراني لقوى المقاومة الفلسطينية واللبنانية". ويخلص الكاتبان إلى أن الجهود الأمريكية لحل الأزمة النووية الإيرانية، والتوصل إلى اتفاق سلام سوري - إسرائيلي، وآخر فلسطيني - إسرائيلي، يجب أن تكون مترامنة، لأن "التقدم في أحد تلك الملفات يدفع بالتقدم في الملفين الآخرين". لكن اندلاع الحرب على غزة أدى إلى تجميد المفاوضات من الجانب السوري، ومن اللافت للنظر أن إيران لم تهاجم المفاوضات السورية الإسرائيلية غير المباشرة؛ إما لأنها كانت تعلم تماماً أن سورية لن تتخلى عن تحالفها معها ومع حركات المقاومة الأخرى، حتى لو استرجعت الجولان، وإما لأنها كانت تتوقع ألا تؤدي المفاوضات إلى أي تقدم كما جرى في مرات سابقة. وبالتالي لم يكن من المفيد إظهار التباين في الرأي مع الحليف الاستراتيجي (سورية) في

الوقت الذي يبدو فيه مشروع التفاوض غير مضمون النتائج أو الاستمرارية، كما كشفت لاحقاً الحرب على غزة.

وعلى الرغم من الانشغال الإقليمي والدولي بحصار غزة؛ فإن التهديد المتبادل الإيراني الإسرائيلي لم يتوقف في سنة 2008، وذهبت كثير من التحليلات إلى القول بأن "إسرائيل" ستغتنم الفترة الانتقالية قبل استلام باراك أوباما الحكم؛ لتوجه ضربة خاطفة إلى إيران تقضي بها على برنامجها النووي أو تؤخره سنوات عدة. فاتهم الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز إيران بأنها "تحتل مركزاً محورياً في العنف والتعصب"، واتهمها بأنها "قسمت لبنان من خلال دعم حزب الله، وبأنها زرعت الفتنة في صفوف الفلسطينيين من خلال دعمها لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، التي فرضت سيطرتها على قطاع غزة في يونيو/ حزيران 2007"<sup>38</sup>. وكذلك اعتبرت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس أن حماس تقاوم بالوكالة عن إيران، التي تسعى لامتلاك قنبلة نووية لتدمير "إسرائيل"، وزعزعة استقرار الشرق الأوسط، وقالت رايس إن الولايات المتحدة ستواصل جهودها لعزل حماس<sup>39</sup>. وأطلق المسؤولون الإيرانيون بدورهم تصريحات مقابلة، فحمل الرئيس الإيراني أحمدني نجاد "الصهاينة القتلة المسؤولة عن كل الأزمات"<sup>40</sup>، ولوح آخرون بردّ ساحق في حال فكرت "إسرائيل" في الهجوم على إيران، في حين كرر أكثر من مسؤول إسرائيلي استعداد بلاده لشنّ هجوم على إيران منعاً لتهديدها النووي.

هكذا انقضت سنة 2008 مثلما بدأت، غزة في قلب الحدث ثم في قلب الحرب، وحول ما يجري في غزة يتمّ اتخاذ المواقف العربية والإسلامية من التنديد بالحصار إلى التنديد بالحرب، ومن الصمت على الحصار إلى الصمت عن الحرب، وفي الحاليتين كانت إيران من الدول التي بادرت مبكراً إلى إعلان الدعم والتأييد لفكّ الحصار عن قطاع غزة، وإلى إعلان الدعم الواضح لاستمرار المقاومة والتشبث بها في مواجهة الاحتلال، وخصوصاً حركة حماس، التي تقاوم العدوان الإسرائيلي. وستستمر إيران في مواقفها المعادية لـ "إسرائيل"، وستتعرض لسيل من الاتهامات والتهديدات، وسيعود التوتر إلى بعض علاقاتها العربية بسبب ما جرى في غزة، لكن الرغبة الإسرائيلية بحرب خاطفة على إيران قبل استلام أوباما الحكم في الولايات المتحدة لم تتحقق، فكانت الحرب على غزة اعتقاداً من "إسرائيل" بأن القضاء على حماس وعلى حركة المقاومة الفلسطينية سوف يضع الملف الفلسطيني تحت السيطرة، ويجعل الرئيس الأمريكي الجديد من جهة ثانية أكثر استعداداً للتركيز على ملف إيران النووي الذي يقلق "إسرائيل" وتراه تهديداً وجودياً لها ولأمنها.



## رابعاً: باكستان

وفقاً لتقرير نشرته جريدة الحياة في 2008/1/29، فإن لقاء جمع الرئيس الباكستاني برويز مشرف Pervez Musharraf بوزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك في أحد فنادق باريس. وعلى الرغم من الادعاء بأن اللقاء حصل "مصادفة" في بهو الفندق، إلا أن الطرفين اتفقا على عقد اجتماع في اليوم التالي لمناقشة موضوعات السلاح النووي الباكستاني، وتصاعد التطرف في باكستان، والسلاح النووي الإيراني!! وقد أكدت مصادر حكومية في إسلام آباد حصول هذا اللقاء، كما أكدته أيضاً الصحف الإسرائيلية، ولكن لم تنشر أي جهة تفاصيل ما دار بين الطرفين. ومع ذلك، تبرز تساؤلات في هذا الإطار، عن الأسباب التي دعت الرئيس الباكستاني إلى مناقشة مثل هذه الأمور مع وزير الدفاع الإسرائيلي "مصادفة"، بدل الحديث عن مأساة الشعب الفلسطيني؟ وما هي العلاقة بين قدرات باكستان أو حتى إيران النووية ومأساة الشعب الفلسطيني؟ وهل كان وزير الدفاع الإسرائيلي يحاول الضغط على الرئيس الباكستاني، وعلى أي أساس يمكن لأي لوزير إسرائيلي أن يمارس الضغط على باكستان؟ وهل كان الرئيس الباكستاني يسعى إلى مساعدة سكان كشمير، أم أنه كان يسعى إلى دعم مالي إسرائيلي لاقتصاد باكستان المتداعي؟ وفي كل الأحوال، فمن الواضح أن الاجتماع لم يكن يخدم دور باكستان التقليدي في دعم القضية الفلسطينية.

وفي وقت سابق، نشرت جريدة الأيام البحرينية في عددها الصادر في 2008/1/4 أن السلطات الباكستانية أطلقت سراح أربعة فلسطينيين من سجن أديالا Adiala jail في روالبندي Rawalpindi، كانوا متهمين بالتورط في خطف طائرة البان أمريكي Pan American سنة 1986. ووفقاً لما ورد في التقرير، فإن المتهمين الأربعة كانوا محكومين بالسجن مدى الحياة، ونقلت الجريدة عن إحدى المحطات التلفزيونية المحلية في باكستان أن الأربعة نقلوا على متن طائرة تابعة للخطوط الجوية القطرية ليتم إرسالهم إلى فلسطين. وفي سياق متصل، أوردت جريدة الحياة الجديدة أن بعض كتاب الأعمدة في الصحافة الإسرائيلية شعروا أنه مع استقالة الرئيس الباكستاني برويز مشرف، خسرت "إسرائيل" صديقاً حقيقياً في العالم الإسلامي. وفي 2008/11/11، الذكرى الرابعة لوفاة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، نشرت جريدة الفجر الباكستانية Dawn مقالاً عن ميراث عرفات المأساوي، وحملت حركة فتح مسؤولية انقسام الفلسطينيين. ووفقاً لما ورد في الجريدة المذكورة، فإن الحكومة الباكستانية كررت الدعوة إلى التطبيق الفوري لقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية. وفي 2008/12/30، أوردت جريدة الخليج أن الرئيس الباكستاني آصف علي زرداري Asif Ali Zardari أدان بشدة الاجتياح الإسرائيلي لقطاع غزة، وناشد المجتمع الدولي التحرك من أجل إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية.

طوال سنة 2008، عبرت إندونيسيا، وهي أكبر بلد إسلامي، بشكل مستمر عن دعمها للفلسطينيين. وفي ذكرى النكبة، عقد في جامعة إندونيسيا مؤتمر تحت عنوان "الحرية وحق العودة:

## خامساً: إندونيسيا

فلسطين وستون عاماً من التطهير العرقي" Freedom and Right of Return: Palestine and 60 years of Ethnic Cleansing، في 14-15/5/2008. وقد عبر المؤتمر عن دعمه المطلق للشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية، مقتبساً نصّ الدستور الإندونيسي الذي يقول: "لما كان الاستقلال حقاً لكل الأمم، فإنه يجب إزالة الاستعمار عن وجه الأرض؛ لأنه يتعارض مع العدالة والطبيعة الإنسانية"<sup>41</sup>. وقد قدّم علماء ومتخصصون من عشرين بلداً من أنحاء العالم أوراق عمل في المؤتمر. كما شارك في المؤتمر حاخامات يهود من الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة، وضعوا شارات مكتوب عليها باللغات الإنكليزية والعربية "يهودي ولكني لست صهيونياً". وفي تطور آخر، افتتح الرئيس الإندونيسي سوسيلو بامبانغ يودويونو Susilo Bambang Yudhoyono مؤتمراً إفريقياً - آسيوياً حول فلسطين، ناشد من خلاله كل البلدان لتقديم دعمها للفلسطينيين في صراعهم مع الكيان الصهيوني. وقد حضر هذا المؤتمر رئيس الوزراء الفلسطيني سلام فياض<sup>42</sup>.

وفي مناسبات مختلفة خلال السنة، قالت منظمات إندونيسية، حكومية وغير حكومية إنها أرسلت مساعدات إنسانية لسكان غزة عبر الهلال الأحمر الإندونيسي. وفي نهاية العام، ومع اندلاع الحرب الإسرائيلية على شعب غزة، أدانت الحكومة الإندونيسية "إسرائيل" بعبارات شديدة اللهجة، وذلك حسب ما ورد في جريدة الخليج<sup>43</sup>. وفي هذا الإطار، نشرت وكالة رويترز تقريراً مفاده أن جبهة حماة الإسلام Islamic Defender Front، وهي منظمة إندونيسية أهلية غير حكومية، تنوي تجنيد حوالي ألف متطوع من أجل تدريبهم على القتال في غزة<sup>44</sup>. وعلى الرغم من فشل هذه المحاولة، بسبب القانون الدولي، إلا أن دلالة الحدث تكشف عن تعلق المسلمين الإندونيسيين بقضية الشعب الفلسطيني العادلة.

عبرت الحكومة الماليزية عن دعمها المطلق للشعب الفلسطيني. وإضافة إلى إرسال المساعدات الإنسانية للفلسطينيين، وخصوصاً أهل غزة، عبرت ماليزيا عن دعمها لجهود المصالحة بين الفصائل

## سادساً: ماليزيا

الفلسطينية. فوفقاً لما ورد في جريدة الخليج في 31/1/2008، عبر وزير الخارجية الماليزي حامد البار Hamid Albar عن استعداده للتوسط بين فتح وحماس من أجل التوصل إلى تسوية سياسية بين الطرفين، ولكن يبدو أن هذا العرض لم يحظَ بالقبول على مستوى منظمة المؤتمر الإسلامي.



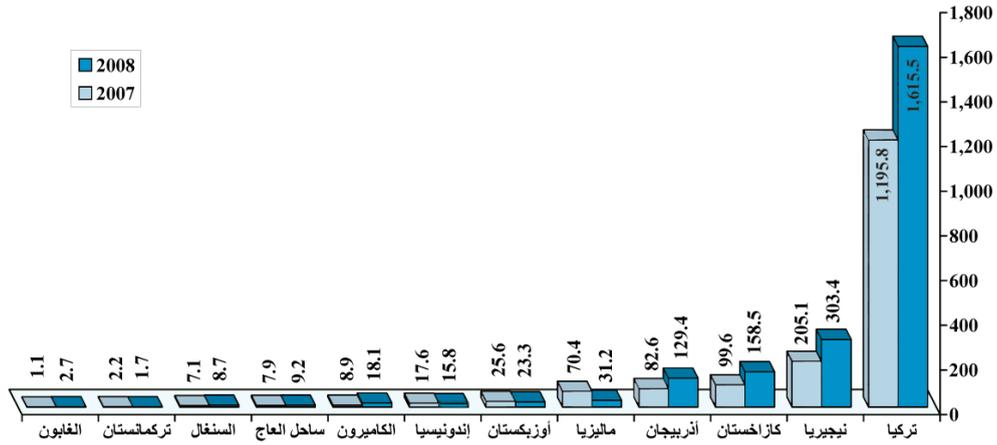
وفي 2008/5/10، نظمت أمان ماليزيا Aman Malaysia، والحركة الدولية من أجل عالم عادل International Movement for a Just World (JUST)، وهما منظماتان أهليتان ماليزيتان، مؤتمراً في ذكرى النكبة، في قاعة الاجتماعات في مبنى الجريدة الصينية "سين شو" Sin Chew في كوالالمبور، تحت عنوان "ستون عاماً من الصراع: نتذكر النكبة". وخلال المؤتمر، سلط سياسيون وأكاديميون الضوء على مشكلة الفلسطينيين المشردين منذ سنة 1948، وعجز المجتمع الدولي عن دعمهم. وقد تخلل المؤتمر جمع تبرعات من أجل زراعة أشجار زيتون في فلسطين<sup>45</sup>.

ومع نهاية سنة 2008، وبداية العدوان الإسرائيلي على الفلسطينيين في غزة، دعا رئيس الوزراء الماليزي عبد الله أحمد بدوي Abdullah Ahmad Badawi المجتمع الدولي إلى بذل جهد مشترك من أجل ضمان الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني. وامتدح بدوي الشعب الفلسطيني وشجاعته في مواجهة "إسرائيل"، كما أعلن عن دعم ماليزيا للفلسطينيين؛ وذلك حسب ما ورد في وكالة الأنباء الوطنية الماليزية (برناما) Malaysian National News Agency (BERNAMA)<sup>46</sup>.

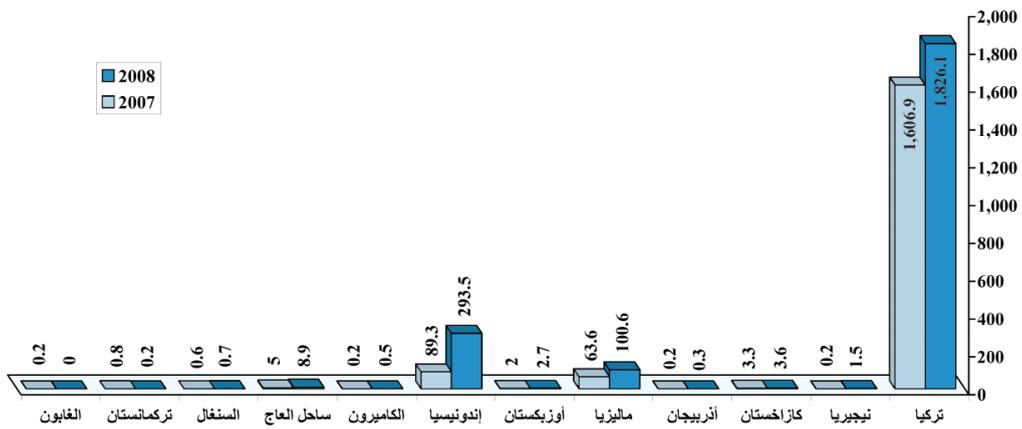
#### جدول 4/1: حجم التجارة الإسرائيلية مع عدد من البلدان الإسلامية (غير العربية) 2005-2008 (بالمليون دولار)<sup>47</sup>

الواردات الإسرائيلية من:				الصادرات الإسرائيلية إلى:				البلدان
2005	2006	2007	2008	2005	2006	2007	2008	
1,221.1	1,272.7	1,606.9	1,826.1	903.2	821.2	1,195.8	1,615.5	تركيا
0.7	0.2	0.2	1.5	47.4	78	205.1	303.4	نيجيريا
3.6	2.2	3.3	3.6	47.9	64.3	99.6	158.5	كازاخستان
0.4	0.6	0.2	0.3	5.4	28	82.6	129.4	أذربيجان
41	53.7	63.6	100.6	130.7	68.1	70.4	31.2	ماليزيا
1.3	1.2	2	2.7	6.2	12.2	25.6	23.3	أوزبكستان
0	0	0.2	0.5	5.7	13.6	8.9	18.1	الكاميرون
43.6	87	89.3	293.5	14.1	12.9	17.6	15.8	إندونيسيا
5.5	2.2	5	8.9	9	8.8	7.9	9.2	ساحل العاج
0.1	0	0.6	0.7	4.5	5.8	7.1	8.7	السنغال
1.4	1.5	0.2	0	0.8	1.4	1.1	2.7	الغابون
1.7	1	0.8	0.2	2.6	0.1	2.2	1.7	تركمانيستان

الصادرات الإسرائيلية إلى عدد من البلدان الإسلامية (غير العربية) 2007-2008 (بالمليون دولار)



الواردات الإسرائيلية من عدد من البلدان الإسلامية (غير العربية) 2007-2008 (بالمليون دولار)



كانت سنة 2008 كسابقاتها فيما يتعلق بسلوك العالم الإسلامي تجاه القضية الفلسطينية، حيث استمرت المواقف والتصريحات المتعاطفة مع الشعب الفلسطيني، والرافضة للانتهاكات الإسرائيلية بحقه، ولكن التفاعل مع القضية على الصعيد السياسي والاقتصادي بقي دون المستوى المطلوب.

## خاتمة

فعلى الرغم من مواظبة منظمة المؤتمر الإسلامي على التعبير عن قلقها تجاه الأوضاع الإنسانية في قطاع غزة، وإدانتها لمختلف الانتهاكات الإسرائيلية، لم يسجل لها أي إنجاز يذكر للشعب الفلسطيني خلال سنة 2008، وخصوصاً فيما يتعلق برفع الحصار عن القطاع وفتح معبر رفح. كما أنها لم تجر أية مساءلة داخلية حول أسباب استمرار فشلها في تحقيق أي تقدم فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية.

أما الموقف التركي فقد حافظ في خطوطه العامة على مساندة الشعب الفلسطيني على المستويين الرسمي والشعبي، وقد تزايد هذا الدعم بقوة إثر العدوان الإسرائيلي على غزة في نهاية سنة 2008، وتسبب في توتر كبير في العلاقة مع "إسرائيل"، وبرود فعل تركية غاضبة جداً على الممارسات الإسرائيلية. ولكن على الرغم من ذلك، يمكن القول إن العلاقات التركية - الإسرائيلية سوف تحافظ على علاقات جيدة نسبياً، بسبب المصالح الأمنية والاقتصادية والسياسية التي ما زالت تجمع بين الطرفين. على الرغم من أن الطرف التركي يتجه تحت قيادة حزب العدالة والتنمية إلى مزيد من الاستقلالية، وإلى الاستغناء التدريجي عن علاقاته بـ "إسرائيل"، مع الاتجاه نحو تطوير علاقاته شرقاً مع العالم العربي والإسلامي.

وواصلت إيران دعم حركة حماس والتأكيد على شرعية المقاومة واستمرارها، والمطالبة برفع الحصار عن قطاع غزة، منتقدة الحكومة المصرية لاستمرارها في إغلاق معبر رفح؛ مما أعاد التوتر الشديد في العلاقات بين البلدين. كما امتدت الانتقادات الإيرانية إلى بعض الدول العربية التي "تشارك" في حصار غزة أو تصمت عما يجري لها، وارتفعت حدتها مع بداية العدوان الإسرائيلي على غزة في نهاية سنة 2008.

وبالنسبة لباكستان، لم تكن هناك تغيرات تذكر فيما يتعلق بسلوكها تجاه القضية الفلسطينية؛ حيث كان هناك انشغال بالشأن الداخلي المليء بالاضطرابات، وأبرزها استقالة الرئيس برويز مشرف، التي علّق عليها بعض كتاب الأعمدة في الصحافة الإسرائيلية بأنه مع استقالته خسرت "إسرائيل" صديقاً حقيقياً في العالم الإسلامي. فيما واصلت كل من إندونيسيا وماليزيا التعبير بشكل مستمر عن دعمها للفلسطينيين، ولكن دون تسجيل أي تطورات عملية مميزة تجاههم.

لم تنجح "إسرائيل" في تحقيق أية اختراقات في العالم الإسلامي خلال سنة 2008، وأظهر العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة مدى تفاعل الشعوب الإسلامية مع القضية الفلسطينية، وكانت التظاهرات والاعتصامات وحملات جمع التبرعات بعض المؤشرات على مركزية هذه القضية في الوجدان الإسلامي. كما أظهرت الطاقات الهائلة المذخورة في العالم الإسلامي، والتي لم يستفد منها الفلسطينيون حتى الآن بالشكل الأنسب لدعم قضيتهم ونيل حقوقهم. وهو أمر يظهر أنه ما زال متأثراً بالانقسام الفلسطيني، ويحتاج تحقيقه لترتيب الفلسطينيين بينهم الداخلي، وتوحيد جهودهم خلف برنامج وطني مشترك، ورؤية شاملة تُعطي البعد الإسلامي مكانته الحقيقية.

## هوامش الفصل الرابع

- <sup>1</sup> هذا التقرير مبني أساساً على الرسالة الإخبارية الأسبوعية التي تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي، انظر: *OIC Newsletter*, 19/11/2008, in: [www.oic-oic.org](http://www.oic-oic.org)
- <sup>2</sup> منظمة المؤتمر الإسلامي، 2008/2/16، انظر: [http://www.oic-oci.org/topic\\_detail.asp?t\\_id=836&x\\_key=%CD%DD%D1%ED%C7%CA](http://www.oic-oci.org/topic_detail.asp?t_id=836&x_key=%CD%DD%D1%ED%C7%CA)
- <sup>3</sup> *OIC Newsletter*, 15/10/2008.
- <sup>4</sup> *The OIC Journal*, July/September 2008.
- <sup>5</sup> OIC Resolution 1/11-PAL(IS) and OIC/SUMMIT-11/2008/FC/Final.
- <sup>6</sup> جريدة حرييت، تركيا، 2008/1/25.
- <sup>7</sup> حرييت، 2008/1/25.
- <sup>8</sup> هآرتس، 2008/1/22.
- <sup>9</sup> See: [http://www.worldbulletin.net/news\\_print.php?id=34375](http://www.worldbulletin.net/news_print.php?id=34375)
- <sup>10</sup> انظر: السفير، 2009/1/5.
- <sup>11</sup> انظر: السفير، 2008/12/11.
- <sup>12</sup> German Marshall Fund of the United States and the Compagnia di San Paolo, *Transatlantic Trends 2008 Partners*, 2008, see: [http://www.transatlantictrends.org/trends/doc/2008\\_English\\_Key.pdf](http://www.transatlantictrends.org/trends/doc/2008_English_Key.pdf)
- <sup>13</sup> See: Helen Brusilovsky, *Summary of Israel's Foreign Trade by Country-2008*.
- <sup>14</sup> الخليج، 2008/1/3.
- <sup>15</sup> البيان، 2008/1/18.
- <sup>16</sup> الوطن، السعودية، 2008/1/31.
- <sup>17</sup> وكالة معاً، 2008/1/29.
- <sup>18</sup> الخليج، 2008/1/9.
- <sup>19</sup> الخليج، 2008/1/21.
- <sup>20</sup> الشرق، الدوحة، 2008/3/2.
- <sup>21</sup> الخليج، 2008/3/3.
- <sup>22</sup> الخليج، 2008/3/10.
- <sup>23</sup> الخليج، 2008/2/9.
- <sup>24</sup> الخليج، 2008/2/9.
- <sup>25</sup> الوطن، السعودية، 2008/2/13.
- <sup>26</sup> الخليج، 2008/2/2.
- <sup>27</sup> الأخبار، بيروت، 2008/9/27.
- <sup>28</sup> الشرق الأوسط، 2008/10/2.
- <sup>29</sup> شبكة الإعلام العربية، 2008/12/13.
- <sup>30</sup> السفير، 2008/12/27.
- <sup>31</sup> الأخبار، بيروت، 2008/12/29.
- <sup>32</sup> البيان، 2008/12/29.
- <sup>33</sup> الحياة، 2008/12/27.
- <sup>34</sup> الخليج، 2008/12/28.
- <sup>35</sup> الجزيرة.نت، 2008/12/29.
- <sup>36</sup> الدستور، 2008/12/30.
- <sup>37</sup> الخليج، 2008/12/30.
- <sup>38</sup> الجزيرة.نت، 2008/9/25.

<sup>39</sup> الخليج، 2008/5/1.

<sup>40</sup> الجزيرة.نت، 2008/9/25.

<sup>41</sup> انظر: <http://voiceofpalestine.net>

<sup>42</sup> الوطن، السعودية، 2008/7/15.

<sup>43</sup> الخليج، 2008/12/30.

<sup>44</sup> رويترز، 2008/12/29.

<sup>45</sup> انظر: <http://www.just-international.org/events.cfm>

<sup>46</sup> جريدة فلسطين، 2008/11/29.

<sup>47</sup> See: Helen Brusilovsky, Summary of Israel's Foreign Trade by Country–2008.

# The Palestinian Strategic Report 2008

## التقرير الاستراتيجي الفلسطيني

لسنة 2008



ISBN 978-9953-500-75-1



9 789953 500751



### مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب.: 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | تلفاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net



## هذا التقرير

يسر مركز الزيتونة أن يقدم للقارئ الكريم التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2008، والذي يصدر للعام الرابع على التوالي. وهو تقرير سنوي يهدف إلى متابعة الشأن الفلسطيني بالرصد والاستقراء والتحليل. ويغطي التقرير الأوضاع السياسية الداخلية، والوضع الإسرائيلي، وعلاقات التسوية والصراع مع "إسرائيل"، ويعالج المواقف العربية والإسلامية والدولية من القضية الفلسطينية. كما يناقش الجوانب المتعلقة بالأرض والمقدسات والمؤشرات السكانية والاقتصادية الفلسطينية.

يتميز التقرير بأن معلوماته محدثة حتى نهاية 2008، وأنه قد قام بإعداده ومراجعته تحبة متميزة من الأساتذة المتخصصين.

وعلى الرغم من سخونة العديد من المواضيع وحساسيتها، فإن مركز الزيتونة حرص على الالتزام بخطه في إصدار الدراسات والأبحاث الرصينة، وفق أفضل المعايير العلمية والمهنية. وبأمل المركز أن يكون هذا التقرير إضافة جادة في ميدان الدراسات الفلسطينية.

د. محسن صالح

